جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم العلوم الانسانية

مذكرة ماستر

العلوم الانسانية
تاريخ
تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
سليمان إسماعيل سالم

يوم://

الواقع الاقتصادي في منطقة الزيبان خلال الفترة الاستعمارية 1844-1962م

لجنة المناقشة:

محمد الطاهر بنادي	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
حورية ومان	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا
سالم كربوعة	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية:2024-2025

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إني لولا عون الله ما سددت في خطوة، والحمد لله أولًا الذي ألهمنا العزيمة لإنجاز هذا العمل.
كما أتقدم بالشكر للأستاذة المشرفة "ومان حورية" على كل ما قدمته لي من نصائح وتوجيهات،
.سائلا من المولى عز وجل أن يرفعها درجات العليين

شكرًا لكل من مد لي يد العون في إنجاز هذه الدراسة.
شكرًا لعائلتي التي كانت لي السند في كل أوقاتي.

شكرًا للأصدقاء رفقاء الحلم "عمار، وائل، شوقي، هابيل، سفيان، رائد، شهاب".
شكرًا لكل من جمعتنا بهم دروب الحياة فأصبحوا هم الحياة، أصدقاء الإقامة الجامعية ومقاعد الدراسة.
شكرا عائلة نادي نقرأ لنرتقي كنتم لي خير رفيق في رحلة العلم والمعرفة

شكرًا لأساتذة التاريخ بقسم العلوم الإنسانية بجامعة محمد خيضر بسكرة على كل مجهوداتهم وتوجيهاتهم لي طيلة مشواري الدراسي.

إهداء

إلى أبي العطوف، قدوتي ومثلي الأعلى في الحياة، فهو من علمني كيف أعيش بكرامة وشموخ

إلى الوالدة الحنون، التي لا أجد كلمات تمنحها حقها، فهي فرحة العمر ومثلًا للتفاني والعطاء

إلى إخوتي وإخواتي، سندي وعضدي ومشاطري في أفراحي وأحزاني

إلى جميع الأقارب والأصدقاء، وإلى جميع الباحثين وطلاب العلم، وإلى دفعة تاريخ 2025

إلى كل من دعا لنا بالخير، وإلى كل هؤلاء وغيرهم كثيرون، أهدي هذا العمل المتواضع، سائلًا الله القبول والثواب.

قائمة المختصرات باللغة العربية والأجنبية

تح: تحقيق	دط: دون طبعة
تر: ترجمة	ع: عدد
ج: جزء	م: ميلادي
ص: صفحة	هـ: هجري
د.س.ن: دون سنة نشر	مج: مجلد
د.ب.ن: دون بلد نشر	P: page
Op-cit:operato citata	نفس المرجع والمؤلف:ibid

مقدمة

يعتبر التاريخ الجزائري المحلي م صدر إلهام للباحثين الجزائريين، لكن الملاحظ أن المناطق الصحراوية لم تنل حظها من هذه الدراسات، ومن بين هذه المناطق منطقة الزيبان التي تعد من أهم المناطق الحيوية في الجزائر. التي تميزت بموقع استراتيجي وثروات طبيعية هامة جعلتها محط أنظار الاستعمار الفرنسي الذي استعمرها في 1844م، وخلال هذه الفترة الاستعمارية شهدت المنطقة مجموعة من التحولات الاقتصادية نتيجة للسياسات الاستغلال التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية التي كان هدفها الأول هو خدمة مصالحها.

إن الإدارة الاستعمارية الفرنسية استهدفت إضعاف الاقتصاد المحلي التقليدي وتحويله إلى اقتصاد تابع لها. ولا يمكن فهم الواقع الاقتصادي لمنطقة الزيبان خلال هذه الفترة بمعزل عن السياق الاجتماعي والسياسي العام، إذ أن التدهور الاقتصادي كان ملازماً لتفكك البنية الاجتماعية. حيث خلف هذا الواقع الاقتصادي مجموعة من الانعكاسات التي عادت على المجتمع الزابي. وفي هذا السياق، تأثرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكان الزيبان بدرجة كبيرة؛ فقد واجه الأهالي ظروفًا قاسية تمثلت في سياسة الإفقار والحرمان من الموارد، مما أدى إلى تفاقم الفقر وتدهور مستويات المعيشة. كما أدت هذه السياسات إلى اختلال في التوازن الاقتصادي والاجتماعي، مما خلق أزمات متلاحقة ألقت بظلالها على مختلف جوانب الحياة اليومية.

إن فهم واقع منطقة الزيبان خلال هذه الفترة التاريخية الهامة لا يساهم فقط في توضيح أوجه المعاناة التي عاشها السكان المحليين، بل يكشف أيضًا عن حجم الصراع الاقتصادي والاجتماعي الذي كان جزءًا لا يتجزأ من المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي.

إذن تأتي هذه المذكرة كمحاولة لدراسة الواقع الاقتصادي للمنطقة خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية، من خلال تحليل السياسة المطبقة وأثرها على السكان المحليين.

- **أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على مرحلة حاسمة من تاريخ منطقة الزيبان، وهو الاحتلال الفرنسي سنة 1844م إلى غاية الإستقلال. والتي شهدت خلالها تحولات اقتصادية إذ يمثل الواقع الاقتصادي للمنطقة أحد الجوانب الأساسية لفهم طبيعة المعاناة التي عاشها السكان المحليون، ومدى التأثيرات السلبية التي خلفها الإستعمار على البنية الاقتصادية والاجتماعية، فدراسة الواقع الاقتصادي لمنطقة الزيبان خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية تكتسي أهمية بالغة نظرا لما تمثله هذه المرحلة من تحولات جوهرية، أثرت بشكل بشكل مباشر على مسار التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة فالإستعمار الفرنسي، لم يكن مجرد احتلال سياسي وعسكري بل كان مشروعا اقتصاديا منظما يهدف إلى السيطرة على الموارد الطبيعية، وإعادة تشكيل الاقتصاد المحلي لخدمة المصالح الفرنسية مما أحدث اختلالات هيكلية ماتزال آثارها قائمة إلى اليوم.

- **الإطار الزماني والمكاني:**

الإطار الزماني: يمتد الإطار الزماني للدراسة من سنة 1844 وهي الفترة التي أحكمت فرنسا قبضتها العسكرية والإدارية على منطقة الزيبان بعد حملات عسكرية عنيفة هدفت إلى إخضاعها لسلطة الاستعمار، وصولا إلى سنة 1962، هذه السنة تم استرجاع السيادة الوطنية والاستقلال، هذا الامتداد الزماني يغطي فترة أكثر من قرن مما يسمح بتتبع تحولات الاقتصادية ومظاهرها التي عرفتها المنطفة نتيجة للسياسات الاستعمارية.

الإطار المكاني: تنحصر الدراسة في منطقة الزيبان الواقعة في الجنوب الشري للجززائر وكما ننوه أن منطقة الزيبان ليست ولاية بسكرة فقط، وتعرف المنطقة بتنوعها الجغرافي الاقتصادي

فهي تعتبر من المناطق الاستراتيجية للاستعمار نظرا لأهمية الموقع وما تملكه من إمكانيات زراعية واقتصادية جعلتها محط أنضار واهتمام الإدارة الفرنسية.

- **أهداف الدراسة:**

وتهدف هذه الدراسة إلى:

- ✓ إثراء المكتبة الجزائرية بمؤلفات متخصصة في تاريخ منطقة الزيبان.
- ✓ التعرف علر أبرز الأنشطة الاقتصادية التي كان يمارسها السكان المحليين للمنطقة.
- ✓ فهم التحولات الاقتصادية التي طرأت على المنطقة خلال الفترة الاستعمارية وتأثيرها على سكان المنطقة.
- ✓ المساهمة في الحفاظ على الذاكرة التاريخية والتراث الاقتصادي لمنطقة الزيبان وكتابة التاريخ بنظرة موضوعية

- **أسباب اختيار الموضوع**

يمكن حصر الأسباب بين موضوعية وأخرى ذاتية وهي كالآتي:

-أهمية منطقة الزيبان التي تعتبر منطقة حيوية وهامة في الجزائر ولها تاريخ إقتصادي يستحق الدراسة بالإضافة إلى نقص الدراسات المتخصصة حول هذا الموضوع تركت فرصة للبعض من غير التخصص بنشر كتاباتهم التي تفتقر إلى قواعد منهجية البحث التاريخي.

-جل وأغلب الدراسات التي تناولت الاستعمار الفرنسي في منطقة الزيبان ركزت على المقاومة، واهملت جوانب الحياة الذي من بينها الجانب الاقتصادي فمحاولة منا سد الثغرات التي لم يتطرق لها الباحثون.

-كوني من أبناء منطقة الفيض التابعة لإقليم الزيبان أردت أن تكون ثمرة بحثي حول تاريخ منطقتي الزيبان.

- **الإشكاليـــة**

من خلال دراستنا التي جاءت تحت عنوان الواقع الاقتصادي في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي (1844- 1962م)، وكانت الإشكالية كالتالي كيف تأثر الواقع الإقتصادي في منطقة الزيبان بالسياسات الاستعمارية الفرنسية خلال فترة الاحتلال؟ ، وهي الإشكالية التي تنطوي عليها جملة من التساؤلات الفرعية التي سنحاول من خلالها أن نصل إلى بعض الإجابات، كمحاولة مني بلوغ نوع من المعرفة لما كان عليه الواقع الاقتصادي للمنطقة خلال تلك الفترة.

- ✓ كيف كان الوضع الاقتصادي للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي؟
- ✓ ماهي مجريات عملية الاحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان وفيما تمثلت ردة فعل السكان على هذا الاحتلال؟
- ✓ ماهي أهم الأنشطة الاقتصادية التي مارسها سكان منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي 1844- 1962م؟
- ✓ ماهي أبرز السياسات التي طبقتها الإدارة الاستعمارية في القطاع الاقتصادي للمنطقة خلال الفترة الممتدة مابين 1844- 1962م؟
- ✓ فيما تتمثلت الإنعكاسات الاقتصادية والاجتماعية التي عادت على السكان الخلال فترة الاحتلال الفرنسي؟

- **المنهج المعتمـد:**

طبيعة الدراسة التي قمنا بها والتي جاءت تحت عنوان الواقع الاقتصادي لمنطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي من (1844-1962) تطلب الإعتماد على:

المنهج التاريخي من خلال عرض الحوادث التاريخية التي عاشتها منطقة الزيبان من إحتلالها من قبل الاستعمار الفرنسي، إلى غاية رد فعل سكان المنطقة والمتمثل في الثورات والمقاومات الشعبية. إعتمدنا أيضا على المنهج الوصفي فمن خلاله وصفنا مظاهر الحياة الاقتصادية لمنطقة الزيبان، وفي وصف أهم التحولات التي طرأت على المنطقة من جهة وسكانها من جهة أخرى.

- **خطة الدراســة:**

من أجل تحقيق أهداف الدراسة قسم العمل على ثلاثة فصول والحقناها بخاتمة ومجموعة من الملاحق التوضيحية التي لها علاقة مباشرة بالمتن.

الفصل الأول تم التطرق فيه إلى إقليم الزيبان جغرافيا تاريخيا وإقتصاديا، والذي بدأنا فيه أولا إلى إعطاء لمحة تعريفية عن منطقة الزيبان هذا التعريف شمل التعريف اللغوي والإصطلاحي، أما ثانيا فتطرقت إلى تضاريس المنطقة بعدها فقمنا بدراسة تاريخ المنطقة بداية من نفوذ الرومان والوندال مرورا على الفترة الإسلامية وصولا إلى التواجد العثماني فيالمنطقة، أما ثالثا أشرنا إلى الوضع الاقتصادي للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي حيث درسنا أهم الأنشطة الاقتصادية في تلك الفترة، من زراعة وصناعة وصولا إلى التجارة، رابعا تطرقت إلى الاحتلال الفرنسي للمنطقة البداية كانت بالسيطرة والدخول سنة 1844م، ثم ذكر ردة فعل سكان المنطقة على هذا الاحتلال من خلال الثورات والمقاومات الشعبية.

أما الفصل الثاني فخصص للأنشطة الاقتصادية في منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي، هيكل هذا الفصل كان على الشكل التالي: أولا القطاع الفلاحي الذي قسم إلى ثلاثة عناصر العنصر، الأول النشاط الزراعي والعنصر الثاني أنظمة السقي وثالثا تربية المواشي، وفي هذا الفصل تناولنا ثانيا الصناعة التي كانت في شكل حرف تقليدية قمنا بالإشارة مجموعة

منها كحرفة النسيج وحرفة صباغة الجلود، أيضا حرفة الحدادة والزخرفة كما سلطت الضوء على الصناعات الأخرى، التي كان يمارسها السكان المحليين ولقد أخذت التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية حظها من هذا الفصل، وبعدها تم التطرق إلى أهم السياسات الاقتصادية التي طبقتها الإدارة الإستعمارية في منطقة الزيبان، هنا قمت بدراسة سياسة الاستيطان وبعدها سياسة التوجه نحو المزروعات الصناعية أما السياسة الثالثة فكانت شق الطرق و مد السكة الحديدية.

وجاء الفصل الثالث والأخير لدراسة الإنعكاسات التي طرأت على المجتمع الزابي، وقد شمل الضرائب التي إنقسمت إلى ضرائب إسلامية وأخرى فرنسية بالإضافة إلى تدهور الحالة الاجتماعية من انتشار الفقر والجوع والبطالة، الأمراض والاوبئة في المنطقة، وفي الأخير تم الحديث عن هجرة سكان المنطقة نحو بقية مناطق الوطن أو إلى خارج الوطن نحو البلاد المجاورة أو فرنسا والشام.

وانتهت الدراسة بخاتمة والتي كانت عبارة عن حوصلة للنتائج المتوصل إليها.

- **المصادر والمراجع المعتمدة:**

تم الإعتماد على مجموعة من المراجع نذكر منها:

- عبد القادر بومعزة كتابه بسكرة في عيون الرحالة الغربيين خاصة الجزء الأول، بالإضافة إلى كتاب محمد العربي حرز الله المعنون بالظاهرة الثقافية في سيدي خالد إبان الاحتلال الفرنسي أفادنا هذا الكتاب في دراسة أهم النقاط المتعلقة بالبحث كما ساعدنا هذا الكتاب لأنه تناول التاريخ المحلي للمنطقة.

كما إعتمدت على مجموعة من المصادر الأجنبية نذكر منها:

- Abdelhamid Zerdoum, Les français a Biskra 1844-1962

- Bouaziz Ben Gana, le Chekh el Arab

وقد وصف لنا هذان الكتابان عن أهم جوانب الحياة اليومية لسكان المنطقة.

كذلك تم الإعتماد على مجموعة من الدراسات السابقة والتي نذكر منها:

- ✓ رسالة ماجستير لشهرزاد شلبي ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر كذلك أطروحة جهينة بوخليفي تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفظة.
- ✓ كما تم الإعتماد على المجلة الخلدونية من خلال المقالات التي تناولت الموضوع، كذلك تم الإعتماد على ملتقيات الجمعية الخلدونية التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

أفادتني من خلال أنها قدمت لي أكثر تفاصيل عن المنطقة، وسكانها وكيف كان واقعهم الاقتصادي خلال فترة الاحتلال الفرنسي.

- **الصعوبات والعراقيل**

ككل عمل أكاديمي يجب أن تعترضه مجموعة من الصعوبات، التي كان لها أثر على المحتوى، ومن هذه الصعوبات نذكر:

- ✓ قلة المادة العلمية المتخصصة في الجانب الاقتصادي لمنطقة الزيبان
- ✓ صعوبة التوفيق بين سعة الموضوع والمدة المحددة لإنجاز المذكرة
- ✓ صعوبة الترجمة من المصادر الأجنبية حيث تتطلب الكثير من الوقت والجهد

الفصل الأول: الزيبان جغرافيا تاريخيا اقتصاديا

أولا: جغرافية منطقة الزيبان

ثانيا: السياق التاريخي لمنطقة الزيبان قبل الاحتلال الفرنسي

ثالثا: الوضع الاقتصادي لمنطقة الزيبان قبل الاحتلال الفرنسي

رابعا: الاحتلال الفرنسي على منطقة الزيبان

تعتبر منطقة الزيبان إحدى المناطق الحيوية في الجزائر بفضل موقعها الإستراتيجي حيث تمثل بوابة الصحراء ومعبرا هاما نحو الجنوب وتضاريسها المتنوعة التي تجمع بين السهول الصحاري. منحها مناخا خاصا يؤثر على أنشطتها في جميع المجالات، وقد شكل هذا الموقع عنصرا هاما في تطورها عبر العصور وجعلها محطة تاريخية بداية من العهد الروماني إلى غاية الإستعمار الفرنسي، أما من ناحية الإقتصادية فتمتع الزيبان بتنوع أنشطتها إذ تشتهر بزراعة النخيل وإنتاج التمور، التي تعد من الأفضل على المستوى الوطني والعالمي. أما الصناعة فكان يغلب عليها الطابع الحرفي، وبالنسبة للتجارة فهي تنقسم الى قسمين محلية وأخرى خارجية، وتجدر الإشارة الى أن منطقة الزيبان كغيرها من مناطق التراب الجزائري شكلت مسرحا للعديد من الأحداث التي كانت ضد المستعمر الفرنسي الذي جعلها محطة أنظاره وإهتماماته. جاهزا للسيطرة عليها مما يمكنه بالتوغل داخل الصحراء الجزائرية، فكما ذكرنا أن الزيبان بوابة الصحراء الجزائرية فقام المستعمر بإعداد كل خطط وإستعمال كل الطرق والوسائل من أجل السيطرة عليها، لكن سكان المنطقة كان لهم رأي آخر فقد قاوموا هذا المستعمر بكل قوة وكانت لهم ردة فعل إزاء هذا الاحتلال والمتمثلة في المعارك، والمقاومات الشعبية التي تدل على أنهم رافضين رفضا قاطعا الإحتلال، ومن خلال هذا الفصل نهدف الى تقديم صورة واضحة وشاملة عن العناصر التي ذكرناها سابقا.

أولا: جغرافية منطقة الزيبان.

1-التسمية والمجال الجغرافي:

اختلف المؤرخون والجغرافيون في نسبتها إلى منطقة أو إقليم. فالزاب لغة: بعد الألف ياء موحدة، إن جعلناه عربيا أو حكمنا عليه بحكمه، فقد قال ابن الأعرابي: زاب الشيء إذا جرى. وقال سلمة: زاب يزوب إذا انسل هربا [1]. وعرفه ابن منظور في كتابه: زاب يزوب إذا انسل هربا. وقال ابن الأعرابي: زاب إذا جرى وإذا انسل في خفاء[2]. هذا من الناحية اللغوية.

أما الدلالة الاصطلاحية، فنجد بن خلدون قد عرف الزاب بقوله: وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاوزة جمعا جمعا. يعرف كل واحد منها بالزاب. وأولها زاب الدوسن[3]، ثم زاب طولقة، وزاب مليلي، وزاب بسكرة، وزاب تاهودة، وزاب بادس. وبسكرة أم هذه القرى كلها[4]. كما نجد ابن الأثير يذكر بلاد الزاب بقوله: بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة[5].

---

[1] ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، دار الفكر، بيروت، د- س، ص 123

[2] محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، ج1، دار صادر، بيروت، ط1، د-س، ص 453.

[3] الدوحة: مدينة قديمة بناها الرومان على الحدود المتاخمة لمملكة بجاية. **ينظر**: مارمول كاربخال، **إفريقيا**، ج3، تر: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1409-1408هـ، 1989-1988م، ص170

[4] عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج6، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ 1988م، ص 558.

[5] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1407هـ، 1987م، مج 3، ص 451.

كما نجد أن الشيخ بشير الإبراهيمي قد تطرق إلى دراسة منطقة الزاب أيضا، حيث قال: "زاب إفريقية في جنوب مقاطعة قسنطينة من القطر الجزائري. وهو الإقليم يضيق هم وقع الاستعمال العربي ويوسعه". وقد كان في القرون الهجرية الأولى إلى القرن الثامن. وهذا التعريف يشمل سهول الحضنة ومدنها الواقعة في سفوح الأطلس الجنوبية، وهي المسيلة ومقرة وطبنة[1] الرومانية[2].

أما الرحالة توماس شاو(tomas shaw)، فقد وصف منطقة الزيبان بشكل مفصل بقوله: "تحده شمالا مقاطعة قسنطينة، وشرقا ولاية تونس، وجنوبا بلاد الجريد، وغربا مقاطعة التيطري[3]. ووفقا لإسماعيل العربي، يشمل مصطلح الزاب منطقة بسكرة وقرى أو مداشر المجاورة لها، بالإضافة إلى مدينة طبنة التاريخية والمسيلة، ويمتد إلى سهول الحضنة والمدن الواقعة على السفوح الجنوبية للأطلس مثل مقرة وطبنة[4].

الواضح أن إقليم الزاب يمتد إلى مناطق متعددة تشمل الأوراس، أحمر خدو، الحضنة، واد ريغ والجريد. يمكن تقدير مساحة الإقليم بحوالي مائة كلم من بسكرة إلى سيدي خالد، وحوالي مائة كلم أخرى من بسكرة إلى خنقة سيدي ناجي[5].

تستخدم بعض المراجع مصطلحات مختلفة مثل الزاب الصحراوي، الزاب الأوسط، الزاب الغربي والزاب الشرقي لوصف المنطقة. الزيبان تمتد على طول شريط عرضه حوالي مائة كيلومتر من واحة القنطرة في الشمال إلى الشقة في الجنوب، وعلى طول شريط آخر يبلغ

---

[1] طبنة: هي مدينة بالزاب حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير. **ينظر**: محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، مج1، تح: علي الزاوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص1.

[2] أحمد طالب الإبراهيمي، **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**، دار الغرب الإسلامي، 1997م، بيروت، ط1، 1997، ج4،ص 352.

[3] Shaw Thomas, **voyage dans la régence d'alger**, trduit de l'anglais par Mac Carthy, Paris, 1830, Bibliothèque nationale de France, p 396.

[4] إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 142-143.

[5] إبراهيم مياسي، **احتلال بسكرة 1844**، الخلدونية، بسكرة، ط3، 2003، ص 49.

عرضه حوالي مائتي كيلومتر من واحة خنقة سيدي ناجي في الشرق إلى واحة سيدي خالد في الغرب[1].

من خلال هذه التعريفات، يمكننا القول إن منطقة الزيبان لم تكن مستقرة في تحديدها الجغرافي، سواء من ناحية مدنها التي كانت تنسب إليها أو من حيث حدودها عبر الزمن، وذلك يرجع إلى المراحل التاريخية التي شهدتها. فقد كانت تضم كل من قسنطينة والمسيلة وباقي المدن الكبرى التي لم تكن ضمنها. إلا أن بسكرة تعتبر في يومنا هذا اللب الحقيقي للزاب، وهي العاصمة الإدارية والتجارية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة.

فبلاد الزيبان واسعة تمتد من الحدود التونسية شرقا حتى هضاب أولاد نايل غربا، وتتصل من هذه الجهة بوادي ريغ. اختلفت وتباينت المصادر والمراجع في تحديد الزيبان، حتى في كونه إقليما أو منطقة، وذلك ما نلاحظه من خلال الكتابات التي تدل على تبدلها في هذا النحو.

2-التضاريس:

أ -الجبال:

تدخل جبال الزاب ضمن تشكيلة جبال الأطلس الصحراوي وتشغل مساحة 26.116 كم² بنسبة 38.5% من جبال الزيبان. تتخلل جبال الأطلس الصحراوي ممرات ودروب تتبعها الأودية المنحدرة نحو الصحراء، وقد كانت هذه الدروب وما زالت تمثل ممرات طبيعية للقوافل التجارية القادمة من الصحراء إلى الإقليم التل أو العكس. بالإضافة إلى أن هذه الجبال تتميز بقلة الغطاء النباتي[2] وتنقسم إلى قسمين:

[1] عبد الحميد زردوم، **بطاقة تعريف بسكرة**، تر: أمال دهار، مطبعة المنار، بسكرة، 2005، ص ص 08-09.

[2] حليمي عبد القادر، **جغرافية الجزائر (طبيعية بشرية اقتصادية)** ، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ص 35.

-**جبال الزاب الشرقي:** تتميز جبال الأوراس بأنها تكونت من االحجر الجيري ثم تعرضت لعوامل تعرية شديدة، فاكتسحت المياه الطبقات بأسرة واختفت الطبقات اللينة في بعض الأجزاء اختفاء تاما، فصار الجبل هيكلا صخريا وتحولت الركامات الكتلية إلى أودية أسفل السفوح الجبلية. والتعريات لا تزال مستمرة والمياه تتدفق في الأودية من غير انقطاع، وقد حفرت حلوق جبال ضيقة وخنادق مستقيمة كونتها المياه، يبلغ عمقها مئات الأقدام ويبلغ طولها أحيانا عدة أميال، وذلك في جهات منفردة بين الأودية تآكلت بفعل المياه في أماكن أخرى.

-**جبال الزاب الغربي:** تمتد في كتلتين أساسيتين متوازيتين وتمتد إلى غاية جبال أولاد نايل غربا. وهما: الكتلة الأولى وهي امتداد للسلسلة الشمالية لجبال الزاب الشرقي، ويتراوح الارتفاع بها بين 300-500م. وأهم جبالها نجد جبل مقرة أو ذو الارتفاع 483م، أما الكتلة الثانية فنجد السلسلة الجنوبية الغربية لجبال الزاب الغربي وأهمها جبل بومنقوش بارتفاع يقدر ب408م، وجبل مالق ذو الارتفاع 395م. وكلما اتجهنا نحو الجهة الغربية من منطقة الزيبان، نلاحظ تباينا في ارتفاع الجبال. وأعلى قمة نجدها في جبل النعام ب694م، وجبل قسوم ب 1087م. وأخفض نقطة هي جبل حشانة 371م. وتتميز سفوحها بانحدارات شديدة إلى متوسطة[1].

[1] سنوسي سميرة، **التصحر في إقليم الزاب وانعكاساته على التهيئة، حالة بسكرة، رسالة ماجستير في تهيئة الأوساط الفيزيائية** ، كلية علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006، ص 07.

ب الهضاب:

موجودة في الجهة الغربية والجنوبية الغربية للمنطقة وتغطي ما نسبته 97.40% من مساحة الولاية. تتميز الهضاب بأنها مائلة قليلا إلى الجنوب الشرقي، ويتراوح ارتفاعها بين 500م في الشمال إلى 197م بمنطقة أولاد جلال جنوبا، ويشقها وادي الجدي[1].

ج- السهول:

محصورة بين سلسلة الأطلس الصحراوي شمالا، وشط ملغيغ في الجنوب الشرقي، وواد الجدي في الجنوب الغربي، وجبال خنقة سيدي ناجي شرقا، ومنطقة الهضاب غربا. وتحتل نسبة 54.46% من مساحة الزيبان. وتنقسم منطقة الدراسة على ثلاث سهول هامة، وهي سهل الوطاية، وسهل سيدي عقبة، والسهل الأخير هو سهل طولقة والدوسن[2].

د- المناخ السائد:

المناخ في مجال الزيبان مناخ انتقالي، باعتبار أن هذه المنطقة بوابة الصحراء، فهو يتأثرويجمع بين خصائص المناخ القاري للسهول العليا وجبال الأطلس الصحراوي، وخصائص المناخ الجاف الصحراوي. هذا التأثير يترتب مجموعة من الخصائص التالية:

-ندرة الأمطار، حيث تقدر كمية التساقط بأقل من 200 ملم سنويا.

-التبخر الشديد، والذي يتراوح بين 2500 ملم إلى 5000 ملم سنويا، نتيجة للارتفاع الكبير لدرجة الحرارة

[1] بوخليفي قويدر جهينة، **منطقة الزاب دراسة طبيعية وجغرافية** ، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 6، ع 2، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2022، ص 14.

[2] عبد الحميد زوزو، **الأوراس إبان الفترة الاستعمارية الفرنسية (1837-1939)**، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار هومة، الجزائر، 2005، ص ص 32- 34.

-الرياح السائدة تناقص كمية الرطوبة، حيث تتراوح بين 30% - 60%. في ظل هذه الظروف، من الواضح ضرورة البحث عن الماء لإعادة الحياة للتجمعات البشرية وللزراعة.

تتعرض منطقة الزيبان إلى رياح تسمى الشهيلي، وتهب خاصة في شهر جوان وجويلية. أما الرياح الجنوبية الشرقية الحارة تسمى بالس يروكو، وتعتبر خطيرة ومثقلة بالرمال والغبار، بالنسبة لدرجات الحرارة القصوى المسجلة عام 2018، فمتوسط درجة الحرارة القصوى قدر ب34.9°م[1].

-خريطة إقليم الزيبان:

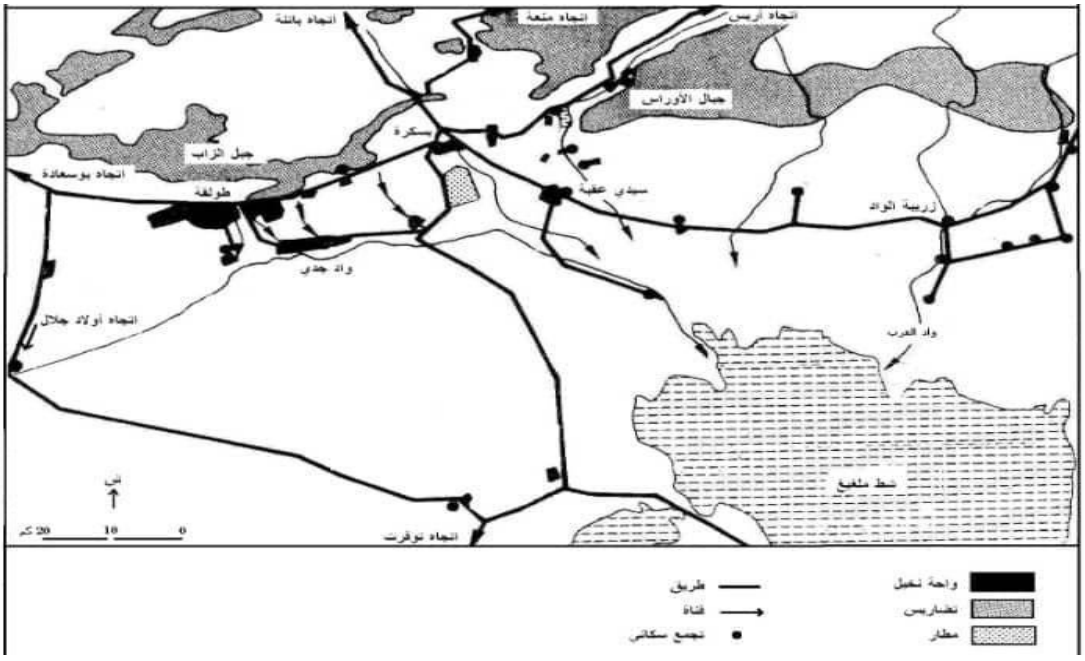

- المصدر: عبد الله خياري، أزمة الواحات التقليدية في الصحراء الجزائرية: واحة طولقة نموذجا، إنسانيات المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الأجتماعية، ع52، الجزائر، ص 20.

[1] بوخليفي قويدر جهينة، المرجع السابق، ص ص 12- 13 .

ثانيا: السياق التاريخي لمنطقة الزيبان قبل الاحتلال الفرنسي

1-لمحة تاريخية عن منطقة الزيبان:

لمنطقة الزيبان تاريخ عميق، فهي تضرب جذورها في أعماق تاريخية. فقد تعاقبت على أرضها الحضارات:

أ -الزيبان تحت نفوذ الرومان والوندال:

تمكن الرومان من احتلال المنطقة أثناء سيطرتهم على كامل بلاد المغرب (149ق-439م). وإتخذوها الرومان مراكز تجارية مهمة ومعبرا من خلاله يتوسعون ، ودخلت في مقاومة عنيفة من طرف السكان الأحرار. ويؤكد الرحالة الفرنسي والمؤرخ جزيل ستيفان (Stéphane Guezil) بأن موقع المدينة الرومانية في بسكرة كانت في الضفة اليسرى لوادي سيدي زرزور. بالإضافة إلى أن الرومان جعلوها معبرا لتوسعات ، وبعد القضاء على الرومان، دخلت المنطقة ضمن مستعمرات الوندال الذين أحكموا سيطرتهم على بلاد المغرب في الفترة الممتدة من (439م-537م) إلا أنهم لم يصمدوا أمام ثورة السكان، فبقيت المنطقة تتخبط في صراعات دموية واضطرابات[1].

ب الزيبان في العهد الإسلامي:

بعد مجيء المسلمين الفاتحين، دخلت المنطقة في عهد جديد والعهد الإسلامي. فكان الفتح على يد الصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري، وأبي المهاجر دينار، وغيرهم ممن أدخلوا

[1] عبد القادر بومعزة، **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين**، ج 1، ط 1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2016، ص 02.

الإسلام للمنطقة وخلصوها من براثن الجهل والشرك، وقد سيطرت الدولة الأموية، ومن ثم الدولة العباسية، والدولة الفاطمية، وأخيرا حكمت الدولة الحمادية المنطقة[1].

ج- بروز العنصر التركي في المنطقة:

كانت منطقة بسكرة والزاب بصورة عامة في منتصف القرن 16م على موعد مع بروز النفوذ التركي في المنطقة. فلم يدخل الأتراك بسهولة، بل ضربوا عليها حصارا دام عدة أشهر، ومات خلالها الكثير، ولم يستسلموا إلا بعد مدة. وبعد دخولهم، أخرج الناس إلى حقولهم ومزارعهم لتقسيم المدينة بعد ذلك[2].

شهدت المنطقة بصراعات عائلية حول السلطة بين بني قانة وأولاد بو عكاز، وذلك بسبب السياسة العثمانية التي تعتمد على تفضيل أسرة على أسرة أخرى. وأدى هذا إلى تغذية الصراعات وتأجيج نيرانها، خاصة بعد أن قام أحمد باي باسناد منصب شيخ العرب بإقليم الصحراء لخاله العزيز بن قانة، وهذا ما اعتبرته عائلة بو عكاز إهانة لها، كونها تزعمت المنطقة لفترة ليست بقليلة. فتحولت هذه الرغبة في الحصول على السلطة إلى صراعات دموية بين العائلتين، وقد كان مجالها واسعا وازدادت اشتعالا مع الفترة الاستعمارية التي جاءت عقب الحكم العثماني[3].

[1] عمار عمورة، نبيل داودة، **الجزائر بوابة التاريخ**، ج1، مراجعة عبد العزيز بوسفرون، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 60

[2] علي محمد الصلابي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط 1، 2001، ص 223.

[3] محمد أجرتني، **أسرة بن قانة ومكانتها السياسية والاجتماعية خلال العهد العثماني** ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2004-2005م، 1425-1426هـ، ص 100.

ثالثا: الوضع الاقتصادي قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة.

كانت منطقة الزيبان تمتلك مكانة اقتصادية هامة في فترة الحكم العثماني، قبل أن تطأ أقدام المستعمر الفرنسي أرض الزيبان. كانت هذه المنطقة تعيش في حالة ازدهار اقتصادي ملحوظ، فقد حباها الله بموارد طبيعية غنية وأرض خصبة، مما سمح لسكانها بتطوير النظام، وجعله متينا ومتنوعا. هذه المعطيات كان لها تأثير على الأوضاع الاقتصادية للمنطقة وعلى سكانها.

1-النشاط الفلاحي:

كان النشاط الفلاحي يعد العمود الفقري للاقتصاد في الشرق الجزائري، حيث يمارس حوالي 95% من سكان الأرياف هذا النشاط الذي تأثر بطبيعة الملكية وأساليب استغلال الأرض. امتازت أراضي البايلك بخصوبتها، مما ساهم في تحقيق إنتاج فلاحي وفير [1]. وقد شهد هذا القطاع ازدهارا كبيرا بفضل الإصلاحات التي قام بها صالح باي، حيث عمل على استغلال السهول الخصبة بفعالية.[2]

أما منطقة الزيبان، فقد نفذ صالح باي [3] العديد من الإصلاحات المهمة، حيث زار مدينة بسكرة في أواخر القرن 18 وأقام بها عدة أشهر. تميزت إقامته بالجدية والتنظيم، إذ قام بتنظيم وتقسيم المياه بحضور العلماء والفقهاء، ومن بينهم خليفة بن الحسن القماري، والشيخ محمد

---

[1] عز الدين بومزو، **الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري، أرنست مارسيه نموذجا** ، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص ص 59- 60.

[2] رياض بولحبال، **أخبار بلد قسنطينة وحكامها** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدراسات العليا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص 29.

[3] **صالح باي:** هو صالح بن مصطفى، ولد سنة 1725م بمدينة إزمير بتركيا من أسرة متوسطة الحال. انتقل للجزائر عام 1755م تفاديا للعقاب بسبب مقتل أحد أقاربه بالخطأ. تولى مقاليد السلطة عام 1772م. عرفت فترة حكمه لبايلك الشرق ومدينة قسنطينة من أهم الفترات التي ازدهرت في جميع الميادين، **ينظر:** محمد الصالح بن العنتري، **فريدة منسية في حال دخول الأتراك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة**، (مراجعة وتقديم وتعليق: حبيب عزيز)، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 07.

المسعود الرماني، والشيخ دبابش. كما أثارت هذه الإصلاحات إعجاب المهندسين الذين زاروا المدينة، وخاصة فيما يتعلق بتقسيم المياه الدقيق[1].

أما فيما يخص المنتجات الفلاحية، فتعتبر زراعة الحبوب من أهم وأبرز الأنشطة الزراعية في منطقة الزيبان، حيث يعد القمح والشعير أساس الحياة الاقتصادية في المنطقة [2]. إلى جانب ذلك، تتميز الزيبان بإنتاج محاصيل زراعية أخرى متنوعة تختلف حسب طبيعة المنطقة، مثل زراعة الخضروات، والتي تشتهر بها بها الواحات الصحية بفضل وفرة الموارد المائية، ومن بين هذه الخضروات نجد البصل، الثوم، اللفت، الجزر، اللوبيا، البطيخ، الدلاع، القصب، النعناع. وكثيرًا ما كان الفلاحون يجمعون بين زراعة الحبوب والخضروات والفواكه، كما كان الفلاحون يغرسون أشجار التين والزيتون [3]. ومن الأمثلة البارزة على ذلك البستان العظيم الذي غرسه صالح باي بنفسه أثناء تواجده في المنطقة، والذي يعرف اليوم بـ "حوزة الباي" [4]. شكلت زراعة النخيل مصدرًا هامًا للثراء في المنطقة، ففي واحة بسكرة بلغ عدد أشجار النخيل 113109 نخلة عام 1844م[5]. بالإضافة إلى ذلك، اشتهرت المنطقة بوفرة إنتاج التمور، الحناء، الفواكه، البقوليات، اللحوم. وكانت حواف منطقة جبل أحمر خدو من أهم المناطق التي تحتوي على المراعي[6]، ونظرًا لأهمية منطقة الزيبان الاقتصادية، عمل الفرنسيون بكل الوسائل للسيطرة عليها.

[1] أحمد خمار، **تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل**، دار الهدى للطباعة، الجزائر، 2012، ص ص 8- 9.

[2] يحي بوعزيز، **تاريخ الجزائر في الملتقيات وطنية ودولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص ص 223- 224.

[3] يحي بوعزيز المرجع السابق، ص ص 224- 225.

[4] أحمد خمار، المرجع السابق، ص 09.

[5] عباس كحول، **دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالزاب الشرقي (1859-1849)**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، 2011، ص 19.

[6] مولاي بالحميسي، **الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981م، ص 29.

2-الصناعات اليدوية

إن منطقة الزيبان كانت تعتمد على الصناعة التقليدية التي تميزت بتنوعها في هذه الفترة، حيث كانت تنتج أدوات وملابس يستخدمها سكان المنطقة في حياتهم اليومية [1]. كانت هناك صناعات مختلفة تعتمد على المواد الأولية والإنتاج الحيواني والنباتي، مثل صناعة الجلود وعصر الزيتون في المعصرة وطحن الحنطة والشعير في المطاحن، نظرا لتوفرها وكثرتها.

هناك أيضا صناعة النسيج والغزل، وهي من أهم الصناعات التي تمتلكها المنطقة، والتي تقوم بنسجها العنصر النسوي بكثرة، والتي يعتمدون عليها بصفة كبيرة، كصناعة القشاش والحايك والأغطية والزرابي والخيام. بالإضافة إلى الصناعات الخشبية، كتحويل الخشب إلى (الملاعق والقصاع...)، وأيضا صناعة الحلي والفخار[2].

3-الأنشطة التجارية:

في الزيبان قبل الاحتلال الفرنسي تنقسم إلى قسمين: تجارة محلية وأخرى خارجية. بالنسبة للتجارة المحلية، كانت تتم في قرى ومداشر المنطقة، حيث كانت هناك أسواق على مدار الأسبوع، ويحبذ سكان المنطقة تسميتها بأيام الأسبوع، كسوق الخميس وسوق السبت. يتجه لها الناس في الصباح الباكر يمتطون الأحصنة والحمير والبغال والجمال. وتنشط هذه الأسواق في فصل الربيع والصيف والخريف. أما في فصل الشتاء، فتنقص حيوية الأسواق بسبب البرد . من البضائع التي كانت موجودة في السوق: الحبوب والخضر والفواكه والتمر والأواني الفخارية والتوابل وغيرها. أما عن النوع الثاني للتجارة في منطقة الزيبان قبل الاحتلال الفرنسي هي التجارة الخارجية فتعد الزيبان من أهم الطرق التجارية وهمزة وصل وملتقى لكثير من القوافل لتبادل البضائع. ومن أهم القوافل التي تأتي من خارج منطقة الزيبان قافلة الأغواط

[1] محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1972م، ص 60.
[2] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 327- 329.

وقافلة سكيكدة وقافلة البيض . وكان النشاط الاقتصادي في تلك الفترة يعيش نشاطا وازدهارا لعدة أسباب منها الحجاج الذين يمرون على الزاوية الرحمانية، فالحجاج يحتاجون للقمح والدقيق والسميد واللحم والدجاج فينفقون ما يملكون من ذهب لشراء هذه الحاجيات[1].

[1] مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص 29.

رابعا: احتلال فرنسا لمنطقة الزيبان

1-احتلال منطقة الزيبان 04 مارس 1844م

بعد أن استمالت فرنسا بن قانة ومنحته منصب مشيخة العرب، اندلعت صراعات في المنطقة، ففي عام 1842 اتفق الأمير عبد القادر وأحمد الصغير بن أحمد بن الحاج على مقاومة الاستعمار الفرنسي، مما وضع بن قانة في موقف محرج. أدى هذا التناقض إلى مواجهات مسلحة بين بن قانة [1] ومحمد الصغير [2]، تدخلت فيها فرنسا لحماية مصالحها. تمكن محمد الصغير بدعم من أحمد باي بن شنوف، من استعادة السيطرة على بسكرة وتكبيد بن قانة خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. استغاث بن قانة بالفرنسيين فاستجابوا لندائه وأرسلوا حملة عسكرية بقيادة بوتافاق والسيطرة على المنطقة. انطلقت الحملة في قسنطينة في 07 مارس 1844م متجهة إلى بسكرة مكونة من فرقة مشاة بقيادة العقيد فيدال والخيالة والمدفعية تحت قيادة الجنرال نوال (General Nwal) وتم تعزيزها بكتيبتين ومئة حصان بقيادة الجنرال ليهين[3](Général Lyautey).

حولت باتنة إلى مركز عسكري للتموين وتمركزت فيها القوات حيث تم تحويلها إلى مركز وقاعدة عسكرية لقيادة العمليات [4]. كما واجهت هذه الحملة مقاومة من قبائل المنطقة أبرزها قبيلة أولاد سلطان وتمكنت قوات العدو من صدها وكسر شوكته فألحقت الهزيمة بهم مما سمح

---

[1] **ينظر للملحق رقم 01.**

[2] محمد الصغير بن أحمد بن الحاج: مجاهد من واحة سيدي عقبة من القادة العسكريين في ثورة االمير عبد القادر لعب دورا كبيرا في مقاومة االحتالل الفرنسي في الجزائر ثم استقر في توزر بتونس وتوفي بها، **ينظر:** عادل نويهض، **معجم أعالم الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط 2 ،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت–لبنان،1980م، ص 118

[3] محمد صالح العنتري، **تاريخ قسنطينة فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة وإستيلاءهم على أوطانها** ، مراجعة وتقديم يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 164.

[4] Abdelhamid Zerdoum, **Les français a Biskra 1844-1962**, entreprise des arts graphiques et de bureutique de Biskra, Alger 1988, p 05.

لقوات الاحتلال بالتوغل في قلب الصحراء والتقدم نحو عاصمة الزيبان بسكرة في فيفري 1844م[1] وتمت السيطرة على المناطق المجاورة[2].

2-رد فعل سكان المنطقة على الاحتلال:

1.2-معركة مشونش 15 مارس 1844م:

بعد احتلال مدينة بسكرة في 4 مارس 1844م على يد القوات الفرنسية بقيادة الدوق دومال، انسحب محمد الصغير بن عبد الرحمن بن الحاج خليفة الأمير عبد القادر إلى منطقة الزيبان، نحو مشونش الواقعة عند سفوح جبل أحمر خدو[3]. هناك بدأ في إعادة تنظيم جيشه بعد ف الإعداد لشن هجوم جديد في إطار السعي لاستعادة بسكرة [4]، استقبل سكان قرية مشونش محمد الصغير بحفاوة كبيرة، حيث كانوا من أتباع الطريقة الرحمانية، وتعاهدوا معه على الجهاد ضد العدو المشترك[5].

أدرك قادة الاحتلال الفرنسي خطورة ما يحدث، فأمر قائد الحملة بإرسال مجموعة من الضباط الذين يجيدون اللغة العربية إلى القرى المجاورة للتجسس على الأوضاع السياسية والاجتماعية للسكان. كان من بين هؤلاء الضابط الرائد توماس (Thomas)، والنقيب دونوف (Donov)، والنقيب ديفو(Devoy)، والنقيب فورنييه[6] (Fournier).

---

[1] **ينظر للملحق رقم 02.**

[2] تلمساني بن يوسف، **التوغل الفرنسي في منطقتي الأوراس والزيبان**، مجلة البصائر، ع22، جامعة الجزائر، ص 35.

[3] **جبل أحمر خدو** : جبل يقع في شرق الجزائر، في حدود ولايتي بسكرة وباتنة، يبلغ ارتفاعه 1925 متر فوق مستوى سطح البحر، وهو عبارة عن كتلة صخرية. **ينظر**: جمعة بن زراول، **المجتمع في منطقة غسيرة وأحمر خدو من خلال القانون العرفي "سيناتوس كونسيلت" 1863م**، مجلة الأحياء، مج 19، ع 2، باتنة، الجزائر، 2019، ص 07.

[4] فوزي مصمودي، **معركة مشونش ببسكرة 1844م الخالدة**، المجلة الخلدونية، ع03، 2004، بسكرة، ص 136.

[5] الأمير بوغدادة، **دور الأخوان الرحمانيين في المقاومة بمنطقة الزيبان خلال القرن 13هـ- 19م**، مجلة علوم الانسان والمجتمع، ع1، جوان 2015، جامعة بسكرة، ص 408.

[6] فوزي مصمودي، **خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان**، المجلة الخلدونية، ع03، 2004م، بسكرة، ص 81.

عندما وصلت التقارير إلى الدوق دومال (Duk d'Aumal) حول تطورات الأوضاع في القرية، بدأ باتخاذ الإجراءات اللازمة للتصدي لتلك الحركات. في عام 1844م قرر الشيخ الصادق إرسال ابنه إبراهيم برفقة مجموعة من المريدين والأتباع إلى دار محمد أمقران حمودة، مقر مقدّم زاوية الرحمانية في مشونش. هناك بدأت المواجهة بين المقاومين المحليين والقوات الفرنسية في مارس من العام نفسه، كانت القوات الفرنسية بقيادة الضابط ترومبلي (Trumbull) وتتألف من في 150 فارسًا، لكنها تكبدت خسائر فادحة أمام شجاعة المقاومين. وردًا على هذه الهزيمة، أرسلت فرنسا قوة عسكرية ضخمة قوامها 1200 جندي و 400 فارس. وصلت هذه القوة إلى مشارف واحة مشونش في 12 مارس 1844م، حيث استعد المقاومون من مختلف أعراش المنطقة لخوض معركة جديدة للدفاع عن أراضيهم[1].

وفي صباح يوم 15 مارس 1844م، انطلقت قوة فرنسية بقيادة الدوق دو مال (Duk d'Aumal) من مدينة بسكرة باتجاه قرية مشونش. فور وصولها فرضت القوات الفرنسية حصارًا على القرية وأطلقت مدافعها بشكل عشوائي دون استهداف دقيق، مما دفع سكان مشونش للتصدي بكل ما لديهم من إمكانيات. ورغم صعوبة الموقف، صمد الأهالي ليوم كامل. وفي روايات أخرى يقال نصف يوم، إلا أن المواجهة أسفرت عن استشهاد خمسين من أبناء القرية[2].

كانت هذه المعركة الأولى التي خاضتها القوات الفرنسية بشكل مباشر في منطقة الأوراس، وتعرض فيها القائد الفرنسي النقيب إسبيناس (Capitain Espinas) لإصابات بالغة مما أجبر الجيش الفرنسي على الانسحاب والعودة إلى بسكرة تحت وطأة المقاومة الشديدة. وتسلّم الكولونيل تناو (Colonel Taneau) قيادة القوات الفرنسية وقاد حملة جديدة على

[1] محمد العيد مطمر، **الغزو والاحتلال للأوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة(1844- 1884)**، مجلة العلوم الإنسانية، ع10، جامعة بسكرة، نوفمبر 2006، ص 82.

[2] محمد العيد مطمر، المرجع سابق، ص 82.

مشونش ضمت أكثر من ألفي جندي. دارت المعركة وكانت شرسة استمرت ليوم كامل، تكبدت فيها القوات الفرنسية خسائر كبيرة بما في ذلك مقتل ستة جنود من بينهم الضابط بورو(Officer Bourreau) وإصابة 26 جنديًا بينهم خمسة ضباط. كما استشهد 32 من سكان المنطقة[1].

2-2 معركة بسكرة ماي 1844م:

بعد أن احتلت القوات الفرنسية مدينة بسكرة بقيادة دوق دومال (Duk d'Aumal) [2] توجه هذا الأخير الي الأوراس ليطلب من احمد باي الاستسلام، فعين الرائد توماس على المدينة، ووضع تحت إمرته فرقة عسكرية صغيرة، فاستغل محمد الصغير بن احمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر في سيدي عقبة الوضع، وقام بالتخطيط لاقتحام بسكرة في 12 و13 ماي 1844، من أجل استرجاعها والقضاء على الحامية العسكرية بها [3].

استطاع محمد الصغير ان يسرب عددا من اتباعه داخل صفوف العدو، وبعد ادعائهم انهم فرو من صفوف المقاومة وقرروا العمل تحت سلطة شيخ العرب، وبدون تحفظ جندوا والحقوا بعناصر حامية قصبة بسكرة لحراسة قطيع المواشي والدواب، وكان الهدف من وراء ذلك هو التسلل من اجل فتح باب القصبة ليلا لمحمد الصغير والقوات المرافقة له حيث اعتمدت خطته على الخديعة والمباغثة، وبفضلهم استطاع تحقيق ذلك حيث اقتحم قصبة بسكرة ليلا [4] ، وعندما

---

[1] محمد العربي الزبيري، **مقاومة الجنوب الجزائري للاحتلال الفرنسي**، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2015،ص 49.

[2] **الدوق دومال:** هو الابن الخامس للملك لويس فليب، عاش في الجزائر في الجزائر فيما بين (1840_1848)، وفي 1842 وصل الي اعلى رتبة عسكرية برتبة جنرال عين قائد مقاطعة قسنطينة، قاد حملتين عسكريتين، وقد كان دائما له الدور الفعال في الأول لاحتلال منطقة الزيبان والثانية لاحتلال جنوب سطيف **ينظر:** كمال بن صحراوي، **معجم المقاومة الجزائرية منذ الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن 19 شخصيات أماكن أحداث معارك**، منشورات ألفا، قسنطينة، الجزائر، 2020، ص ص 95- 96.

[3] شلبي شهرزاد ، **ثورة واحة العامري وعلاقاتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر** ، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخظر، باتنة، الجزائر، 2009 ، نفسه ، ص 35.

[4] عثماني مسعود، **الاوراس مهد الثورة**، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص39

بلغ عددهم 25 رجلا ارسلوا له موعد الهجوم، فقصد القصبة ليلا وتم الهجوم في 12ماي 1844 وكانت نتائج هذا الهجوم المباغت وخيمة على العدو حيث قتل ملازمان (بوتيقوند ،كروشار) كما قتل الطبيب أرسلان، وقد تم استرجاع ما قارب مليونين دورو ، و 22 مكحلة، و115 بدلة عسكرية ، و400 حصان و خزينتين من البارود، وأربعة مدافع و كميات من القمح و الشعير، ولم ينج من المجزرة سوى الطاهية **ماريا موراني** الياهودية[1] ، والرقيب بيليسي(Pellissier) [2] ، بعد ان هرب و احتمى عند الشيخ الميول شيخ طولقة ، كما علم فرحات بن السعيد بأمر هذا الأخير و طلب من فرسانه قتله [3]

وما ان بلغ هذا الخبر مسامع الدوق دو مالحتى اعد حملة عسكرية يوم 14 ماي 1844، لتصل الي بسكرة في 18 وبقدوم هذه القوات الهائلة انسحب خليفة الأمير الي أولاد داود بالأوراس محاولا تحريض سكانها على الجهاد وسعي الي تنسيق الجهود ومع أحمد باي لكن جهوده باءت بالفشل، فركز على تحطيم التنظيم السياسي الذي اقرته السلطة الاستعمارية وسط القبائل التي أبدت خضوعها، وقام بملاحقة القياد الذين عينتهم الإدارة الاستعمارية[4].

اما محمد الصغير فقد تخوف من القبض عليه فانسحب الي الاوراس ومنها الي تونس، وبعد هذه المعركة رأى الدوق دومال ضرورة الشروع في تطبيق إجراءات جديدة، فاصدر في 23 ماي 1844 أمرا عاما اعتبره تنظيما جديدا، وبمقتضاه تم تعيين الرائد توماس كقائد اعلى للمنطقة كما

[1] أعلنت اسلامها، تزوجها فيما بعد محمد الصغير، وانجبت له ولدين حسب رواية فيرو ومكثت معه الي ان توفى في توزر (جنوب تونس) 1856، ولعدها اتجهت الي القيروان، **ينظر:**شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 35

[2] هو **Pelissier almable jean jacque**ولد في 6 نوفمبر 1794، حارب في اسبانيا 1823، وفي سنة 1839 أصبح كولونيل، وفي 1840 تولى رئاسة مقاطعة وهران، وفي 22 افريل 1846 أصبح حاكم عام للجزائر، وتوفى 1864 ويعرف عن سكان المنطقة ب "سارجان بليس " **ينظر:**المرجع السابق، ص 36

[3] المرجع نفسه، ص 36

[4] تلمساني بن يوسف، المرجع السابق، ص 41

قام بتعين أربعة شخصيات لها وزنها وبحكم انتمائها الي عائلات كبيرة برتبة ضباط، فاسند قيادة الشيخ العرب لبو عزيز بن قانة الذي يجتل منصب خليفة للصحراء، وتمتد سلطته على:

-**واحة بسكرة:** تخضع واحة بسكرة والمدينة لسلطة القائد (محمد الصغير بن علي بن قيدوم بن قانة)، وقسمت الواحة الي ستة احياء هي :باب القبة، راس الكدية، باب الضرب، باب الغلة قداشة، المسيد ويدير كل حي كبير الجماعة.

- **الزاب الظهراوي:** ويشمل الواحات التالية:بوشقرون، فرفار، البرج ، ليشانة، الزعاطشة، طولقة، ويخضع كل جزء من هذه الواحات لكبير الجماعة، ماعدا طولقة تخضع لشيخ.
- **الزاب القبلي:** ويشمل الواحات التالية: اورلال، ليو ة، مخادمة ، بنطيوس، مليلي، اوماش، الصحيرة، ولكل من اورلال، ومليلي شيخ والواحات الأخرى تخضع لكبير الجماعة.
- **البدو والرحل:** توضع مباشرة تحت سلطة شيخ العرب، رحل الجنوب:عرب الشراقة وعرب الغرابة، وأولاد سيدي صالح[1].
- اما **قيادة سي مقران** ، فأسندت الي القائد المنحدر من اسرة سي محمد بلحاج وهو لخظر بن خلوف
- **قيادة الحضنة** ، أولاد دراج، أولاد زيان وبني سويف وبني فرح وأولاد سحنون، القنطرة البرانيس، الصحاري.
- **قيادة الزاب الشرقي:** والمقسمة الي فرعين متناحرين من أولاد مولة هما بن عبد الله وبن شنوف وتخضع هذه المناطق لسيطرة شيخ العرب[2].

بعد هذا التقسيم لمدينة بسكرة عرفت العديد من الاحداث في الفترة الممتدة من (1845_1848) حيث تميزت هذه الفترة من تاريخ المنطقة بتصاعد روح المقاومة، ففي سنة

[1] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 35.

[2] المرجع نفسه، ص 37.

1845م سكان جبال احمر خدو بإيواء احمد باي وذلك من خلال مخادعة الرائد سانت جرمان بخضوع الفلاحين، وفي سنة 1846 م تم استرجاع خنقة سيدي ناجي، أما سنة 1847م قام رائد المقاومة في الغرب الأمير عبد القادر بالاستسلام [1]

كما شهدت فرنسا سنة 1848 حدث سياسي كبير تمثل في نهاية الملكية وقيام الجمهورية الثانية، الامر الذي استغله علي باي ابن فرحات بن سعيد حيث قام بإشعال فتيل الثورة مما اثار مخاوف فرنسا، حيث قامت بتجنيد كل الوسائل من اجل ردعه [2]، وفي المقابل قام القطب الثاني للمقاومة الجزائرية في الشرق احمد باي الاستسلام، طالبا من فرنسا السماح له بالعيش في أرض إسلامية، فأقتيد إلى بسكرة ومنها الي قسنطينة ثم رحل الي مدينة الجزائر ويقي فيها ان توفي سنة 1850م[3].

2-3 مقاومة الزعاطشة 1849م:

بعد استسلام الأمير عبد القادر عام 1847م وأحمد باي عام 1848م، برز الشيخ بوزيان [4] شيخ واحة الزعاطشة بدعوته للجهاد ضد الاحتلال الفرنسي. جاءت هذه الدعوة نتيجة لجملة من الأسباب منها سياسة التوسع الاستعماري الفرنسي في منطقة الزيبان ورفض سكانها وكل أرجاء الجزائر للخضوع للاحتلال[5]. كما تأثرت الأوضاع بتحولات شهدتها فرنسا إثر ثورة 1848م والتي أطاحت بالملك لويس فيليب وابنه دو مال الحاكم العام للجزائر ليحل محله الجنرال كافينياك في مارس من العام نفسه. بالإضافة إلى ذلك، غادرت عدة كتائب من الجيش الفرنسي الجزائر

---

[1] إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 م، ص 72

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 38

[3] إبراهيم مياسي **احتلال بسكرة 1844م**، المجلة الخلدونية، ع2، 2003، جامعة الجزائر، ص 42

[4] **الشيخ بوزيان**: إسمه الحقيقي عبد الرحمن بن زيان من أعراش وادي عبدي بألوراس كان قائدا للمقاومة في الجنوب عين نائبا لألمير عبد القادر بمنطقة الزاب الظهراوي، عينه البركاني شيخا للزعاطشة. **ينظر**:عبد المجيد بن نعيمة موسوعة أعالم الجزائر 1830-1954 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة1نوفمبر، الجزائر ، ص 85

[5] فوزي مصمودي، **أسباب فشل ثورة الزعاطشة**، المجلة الخلدونية، ع 03، الملتقى الوطني الثاني "بسكرة عبر التاريخ"، ص 40

للمشاركة في قمع الثورة بفرنسا مما أدى إلى انتشار شائعات في منطقة الزيبان بأن بريطانيا أعلنت الحرب على فرنسا وتستعد لشن حملة كبيرة ضد الاحتلال الفرنسي في الجزائر. هذه الأخبار وصلت إلى المنطقة عبر سكانها المتصلين بمدينة الجزائر[1].

ساهمت أيضا السياسة القمعية لفرنسا التي شملت الاعتداء على الحرمات وزيادة الضرائب على الجزائريين، في إشعال الغضب الشعبي خاصة بعد فرض ضريبة النخيل على أهالي الزعاطشة في ظل تراجع محصول التمور لعام 1848م[2]. كل هذه العوامل إلى جانب تمسك الشعب الجزائري بروح الجهاد [3] دفعت الشيخ بوزيان إلى استغلال الظروف وإعلان حركته الجهادية، حيث دعا الشيخ سكان المنطقة إلى الامتناع عن دفع الضرائب فاستجاب له بعض القبائل مثل الدعاقبة بقرية نارة. هذا ما دفع الفرنسيين إلى شن حملتهم الأولى ضد القرية في أبريل 1849م. وفي تلك الأثناء حرص الشيخ بوزيان على التواصل مع زعماء القبائل والعروش المجاورة لكسب تأييدهم وتوفير الدعم المالي لشراء الأسلحة والتموين[4].

عندما علم القائد العام بتحركات الشيخ بوزيان أمر الملازم سيروكا بالقبض على جميع المتمردين وعلى رأسهم بوزيان فتحرك نحو الزعاطشة وعندما وصل إلى ساحة البلدة شاهد الشيخ بوزيان وأمره بركوب بغلة والذهاب معه إلى بسكرة ليسجن بتهمة التحريض. امتثل بوزيان لأمر في البداية لكنه فجأة قام بتمزيق خيط سبحته لتناثرت حباتها على الأرض. استغل ذلك كحيلة لكسب الوقت بحجة جمعها في حين كان يهيئ أنصاره للمواجهة. وبسرعة، انطلقت الرصاصات من بنادق المجاهدين مما أجبر الضابط الفرنسي وجنوده على الهروب نحو باب القرية.[5]

---

[1] إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراءالجزائرية 1837-1934** ،،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر2009م، ص 38

[2] محمد العربي الزبيري، **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي 1837- 1934**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 38.

[3] إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 78.

[4] العربي المنور، **تاريخ المقاومة في القرن التاسع عشر**، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2006، ص 264.

[5] محمد العربي الزبيري، **مقاومة الجنوب الجزائري للاحتلال الفرنسي**، المرجع السابق، ص 62.

بعد عودته إلى بسكرة قدم الملازم سيروكا تقريرا مفصلا للقيادة العليا عن الحادثة. بناء على ذلك أرسل الملازم الأول ديبوسكي إلى بسكرة واستدعى شيخ العرب بن قانة وأفراد عائلته، كلف بن قانة بتجنيد قبائله والتوجه إلى الواحات لقمع المقاومة[1].وشهدت مقاومة الزعاطشة معركة استغل بن قانة وأعوانه هذه الفرصة لتنفيذ أعمال تخريبية ضد أبناء وطنهم الذين رفضوا التعاون مع الإستعمار الفرنسي[2]ويمكن تقسيم مراحل هذه المقاومة إلى ثالثة مراحل:

الإنتصار ثم الحصار وأخيرا الإنكسارفي 16جويلية 1849وصلت القوات الفرنسية إلى واحات الزعاطشة بهدف قمع الثورة التي قادها الشيخ بوزيان .قام القائد الفرنسي كاريبيسيا بتقسيم قواته إلى فوجين محاولا شن هجوم مفاجئ قبل وصول المتطوعين إال أن خطته فشلت، ووجدت قواته نفسها محاصرة من قبل الثوار والمتطوعين 2 من أتباع بن شنوف إلعتراض المهاجمين مما أدى إلى مواجهة حاسمة في قرية سريانة شمال تهودة وانتهت المعركة بإنتصار الثوار ومقتل الرائد سانت جيرمان مما رفع معنويات الثائرين بشكل كبير [3]. وبعد هذه الهزيمة تولى حاكم قسنطينة هيربيون قيادة العمليات بنفسه وعين العقيد كاربيسيا خلفا لسانت جيرمان فتوجه هيربيون إلى الزعاطشة وحاصر المنطقة في 7 أكتوبر 1849م، محاولا استعادة السيطرة مستغلا الظروف الفصلية المالئمة لتحرك القوات الفرنسية وبعد معارك طاحنة انتهت بسيطرة القوات الفرنسية على الشوارع والساحات وحتى أسطح المنازل. وفي صباح يوم حاسم حوالي الساعة التاسعة لجأ العدو إلى تفجير دار بوزيان بـالألغام، مما أدى إلى تدميرها بالكامل. ورغم ا لنقائص ظهر الشيخ بوزيان

[1] عبد القادر النليلي، **المقاومات والانتفاظات الشعبية من خلال المجلة الافريقية (إنتفاظة الزعاطشة نموذجا)** ، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة– الجزائر، ص 2013، ص 105.

[2] إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية**، المرجع السابق، ص 64.

[3] أحميدة عمراوي وآخرون، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844– 1916**، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 40

من وسط الركام فإنهالت عليه القوات الفرنسية ضربا حتى استشهد. أقام المستعمر مشهدا مأساويا بتعليق رؤوس الشيخ وإبنه وموسى الدرقاوي على مقصلة لإرهاب الشعب[1] .

المقاومة خلفت خسائر فادحة فقد تم قطع أكثر من عشرة أ لاف نخلة واستشهاد أكثر من ألف مجاهد وعدد من المدنيين العزل وقد لجأ بعض المجاهدين إلى قرية نارة في جبال الأوراس لكن القوات الفرنسية لحقتهم وقضت على كل من في القرية ودمرت الممتلكات وأحرقتها بالكامل في 5 جانفي 1850م[2]، ظل هذا الوضع بادر الشيخ بوزيان بإرسال رسائل طلبا للدعم من مناطق مختلفة. استجاب 5 لهذائه كل من الشيخ عبد الحفيظ الخنقي مقدم الطريقة الرحمانية في خيران، والسي الصادق بن الحاج، شيخ زاوية تيبرماسين في سيدي مصمودي وانطلقا لمساندة الثورة لكن القائد المحلي بن شنوف شيخ سيدي عقبة علم بهذا التحرك وأبلغ سانت جيرمان قائد الحامية الفرنسية في بسكرة. تحركت القوات الفرنسية مع أتباع بن شنوف إلعتراض هذا الهجوم[3].

2-4 مقاومة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي 1849م:

بعد اندلاع ثورة الزعاطشة وفشل المستعمر الفرنسي في كبح جماحها وعزل أصدائها، برز دور القائد بوزيان الذي نجح في توسيع دائرة تأثيره ، ونشر مبادئ الجهاد بين القبائل المحيطة. لم يكتف بذلك، بل بادر بمراسلة زعماء المناطق المجاورة طالبًا دعمهم ومساندتهم. لبى دعوته العديد من القادة والزعماء المعروفين بشجاعتهم وإخلاصهم، مثل سي عمران بن جنان قائد أولاد سلطان والشيخ بن الجودي شيخ أولاد زيبان والشيخ عبد الحفيظ الخنقي. وهذا الأخير على وجه الخصوص استجاب بشكل سريع للنداء وبدأ في توحيد قواته، وتمكن من جمع كتيبة من المجاهدين

[1] رابح لونيسي، **العربي التبسي الفقيه والثائر**، دار المعرفة الجزائر، 2009، ص 82.

[2] إبراهيم مياسي، **المقاومة الشعبية الجزائرية**، دار مدني للنشر، الجزائر، 2009، ص 60.

[3] إبراهيم مياسي، **ثورة الزعاطشة 1848**، مجلة الدراسات التاريخية، ع08، جامعة الجزائر02، ص 91.

في بداية الخريف.تحت راية الجهاد، أعلن الثورة ضد المستعمر الفرنسي وأعوانه وسعى لنصرة الدين والوطن في الوقت ذاته. فلم يتردد في تقديم الدعم لسكان واحة الزعاطشة المحاصرين[1].

تحرك الشيخ الخنقي لاستمالة القبائل المجاورة مثل أولاد داود وأولاد عبدي وبني سليمان وأهل غسيرة وليانة وبادس وزريبة الواد. كما تعاون الشيخ الصادق بن الحاج الذي ساهم بشكل كبير في نصرة بوزيان وسكان الواحة، حيث فتح جبهة جديدة للقتال ضد المستعمر لفك الحصار.

بدأت التحضيرات بتجهيز الذخيرة والمؤن وتجنيد المقاومين، وانضم إلى هذه الجهود أحمد بن الحاج خليفة الأمير عبد القادر، مما عزز قوة المقاومة وأعطى الثورة زخمًا جديدًا. في يوم 25 أغسطس 1849، قاد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي جيشًا قوامه 2000 مقاتل، وانضم إليه الشيخ الصادق بن الحاج قادمًا من أحمر خدو ومعه 200 فارس. أسندت قيادة القوات للشيخ عبد الحفيظ، وتحركت الجيوش نحو مدينة بسكرة، حيث استقبلتها القبائل بحفاوة كبيرة ودعمته بالعدد والعدة[2].

بعد استكمال الاستعدادات، صدرت الأوامر بالتحرك نحو واحة الزعاطشة. في 17 سبتمبر 1849، وصلت القوات إلى وادي براز قرب سريانة، التي تبعد 20 كلم عن بسكرة بالقرب من منطقة سيدي عقبة. كانت هذه المنطقة تحت سيطرة عائلة بن شنوف الموالية لفرنسا. طلب الشيخ عبد الحفيظ دعم بن شنوف، لكنه قوبل بالخيانة، حيث أسرع الأخير بإبلاغ السلطات الفرنسية[3].

[1] يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20**، ط1، دار البعث، الجزائر، 1980، ص 63.

[2] Halim Cherfa : **I héroïque bataille de zaatcha**, I imprimerie el maraaf, Alger, 2007

[3] الجمعية الناصرية للتنمية الثقافية والاجتماعية لخنقة سيدي ناجي: **الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي (1602- 2002)** بحوث في تاريخها وسكانها وترجمات لبعض أعلامها، شركة الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2002، ص 12.

عندها بدأ القائد الفرنسي سان جيرمان بتجهيز قواته المكونة من 300 مشاة و 200 فارس من الخونة و 70 قناصًا و 55 مدفعًا. تولى العميل بولخراص قيادة الحملة، واعتقد في البداية أن قوات الثوار متمركزة في قرية تهودة، لكن سرعان ما علم أنها في وادي براز فتحرك إليها[1].

مع بزوغ الفجر، كان الفرنسيون قد أحاطوا معسكر الثوار، مستغلين ضعف الحراسة والهدوء. ومع صوت أذان الفجر، بدأ الهجوم الفرنسي بوابل من الرصاص. وفقًا لبعض الروايات، انطلقت المعركة في الخامسة والنصف صباحًا يوم 21 سبتمبر واستمرت حتى الليل. رغم عنصر المباغتة، أبدى فرسان الشيخ عبد الحفيظ شجاعة فائقة وأثارت هجماتهم الرعب في صفوف العدو[2].

تمكن الثوار من تحقيق انتصار أولي، وألحقوا خسائر كبيرة بالقوات الفرنسية، بما في ذلك مقتل الرائد سان جيرمان برصاصتين في الرأس. لكن الكفة سرعان ما انقلبت لصالح الفرنسيين بسبب تفوقهم في المعدات الحربية واعتمادهم على الكمائن. أحكم العدو الحصار واستعاد تماسكه، مما اضطر الشيخ عبد الحفيظ إلى إصدار أوامر بالانسحاب إلى الجبال القريبة لتنظيم الصفوف وإعادة ترتيب القوات.كان الهدف من الانسحاب التحضير لجولة جديدة من القتال لتحرير بسكرة من الحصار[3].

اختلفت المصادر التاريخية في تقييم نتائج معركة وادي براز قرب سريانة، حيث أصدرت المصادر الفرنسية تصويرها كواحدة من أعظم انتصاراتها. رغم مقتل قائدها سان جيرمان، ادعت هذه المصادر أن قواتها تمكنت من قتل أكثر من 100 مجاهد والاستيلاء على عدد كبير من

---

[1] Abdelhamid Zerdoum : **Les Biskra et la France**, entreprice des arts graphique et de bureautique de Biskra, 1998 ،p 90.

[2] محمد الصغير سنوسي، **المقاومة الشعبية بقيادة عبد الحفيظ الخنقي** ، الملتقى الوطني للمقاومة الشعبية بالزيبان، مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، الجزائر، 1998، ص 03.

[3] Abdelhamid Zerdoum ،op ، cit، p60- 61.

الخيول والبغال والخيام والأمتعة، إضافة إلى حوالي 100 بندقية وكميات كبيرة من الذخيرة، أما خسائرها وفقًا لتلك الروايات فلم تتجاوز أربعة قتلى بمن فيهم سان جيرمان، وأكدت أن الثوار الذين بلغ عددهم ما بين 1000 و1500 مجاهد فروا إلى الجبال بما في ذلك خيمة القائد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي[1].

لكن هذه الرواية الفرنسية تعرضت للنقد الشديد من المصادر العربية والمحللين التاريخيين، حيث يرى المؤرخ محمد العربي الزبيري أن تلك الإحصائيات غير منطقية خاصة بالنظر إلى التجهيزات التي أعدها الثوار وعددهم الكبير الذي تراوح بين 1500 و2000 مجاهد، إضافة إلى طول مدة المعركة التي استمرت يومًا كاملا.

كما استبعد فكرة أن تسفر معركة بهذا الحجم والإيمان الكبير الذي تحلى به المجاهدون عن مقتل أربعة جنود فقط في صفوف العدو. ووصف ساخرًا هذه الإحصائيات بقوله "وكأن رصاص الثوار كان تمورًا جمعوها من غابات النخيل".ومن جهة أخرى، تشير المصادر العربية إلى أن الخسائر كانت فادحة على كلا الطرفين، حيث تمكن الثوار من قتل عدد كبير من الجنود الفرنسيين يقدر بحوالي 1000 جندي بمن فيهم شخصيات بارزة مثل المقدم دوسان جيرمان (Dussane Germain) وحامل البندقية شفيدرات لبار وباربوني طوماس (Barboni Thomas) وديبون ألكسندر والجوال روسبني غايتانو(ruspini geatano)[2].

واصل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي المقاومة بعد العودة إلى خنقة سيدي ناجي وجمع قواته من أجل رفع راية الجهاد من جديد. وفي أثناء قيام فرنسا بحملات القمع ضد القبائل المساندة لثورة الزعاطشة، وصلت الحملة إلى قرية خنقة سيدي ناجي في 1 جوان 1850م، حيث عرضت على

[1] عبد الحليم صيد، **عبد الحفيظ الخنقي المربي والصوفي المجاهد**، النبأ، الجزائر، ع164، 1994، ص 09.

[2] Abdelhamid Zerdoum ،op ، cit، p 32.

الشيخ عبد الحفيظ الخنقي السلم والأمان مقابل التعامل مع العدو، لكنه رفض وفضل الرحيل إلى منطقة الجريد التونسي. وافته المنية في 13 جويلية 1850م بعد معاناته مع مرض الكوليرا[1].

2-5 مقاومة العامري 1876م:

وقعت المقاومة في واحة العامري التي تقع في الجنوب الغربي لمدينة بسكرة، في عام 1876م تزعمها الشيخ محمد بن يحي بن محمد الذي ولد سنة 1841م وينحدر من عرش أولاد بوزيد. لا يعرف شيء عن حياته قبل أن يتزعم الثورة، سوى أنه من عائلة ميسورة الحال ولديه القدر الكافي من العلم[2].

حدثت هذه المقاومة لعدة أسباب يمكن حصرها فيما يلي:

-سوء المعاملة التي كانت تمارسها معظم القيادة وخاصة بن قانة ضد عرش الباوزيد سكان واحة العامري.

-كرههم الشديد للاستعمار الفرنسي وبغضهم إياه نتيجة قمعه للشعب الجزائري.

-إحباط ثورة بوشوشة بالجنوب الجزائري وإعدامه سنة 1876م وبن ناصر بن شهرة وبومرزاق المقراني.

-تأثر عرش البوازيد بالصراعات التي كانت قائمة بين عائلتي بن قانة وعلي باي.

-الضرائب الباهضة المرهقة على السكان وقد أوكلت مهمة تحصيلها إلى القايد بولخراص الذي يعرف بتسلطه على السكان ومعاملته السيئة لهم.

[1] الجمعية الناصرية، المرجع السابق، ص 23.

[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص 364.

-قتل مسعود القاضي بمدينة بسكرة وهو أخو الشيخ محمد بن يحي زعيم الثورة في ظروف غامضة[1].

قام سكان بسكرة والمناطق المجاورة بإرسال رسالة إلى الحاكم العام الفرنسي في الجزائر عام 1875م، حيث اشتكا من تعسف الضابط الفرنسي "كروزي" وظلم "بولخارص". كان محمد يحيى هو صاحب فكرة إرسال الرسالة الاحتجاجية، مما أدى إلى اعتقاله ونقله إلى مركز القيادة في بسكرة. ورغم ثبوت براءته بعد التحقيق، إلا أن بولخراص لم يقتنع بالنتيجة وطالب باستقالته، وهو ما رفضه محمد يحيى الأمر الذي زاد من التوتر بينهما.

بعد فترة دعا بولخراص محمد يحيى مجددًا إلى بسكرة حيث أجريا نقاشًا حادًا دون وجود أي مسؤول فرنسي. لكن محمد يحيى استمر في رفضه الخضوع للضغوط الفرنسية. وبعد عودته إلى واحة العامري، قرر التمرد على السلطات الفرنسية وحمل السلاح، فنجح في إقناع بني بوزيد بالانضمام إلى المقاومة رغم الخلافات الداخلية بينهم. تمكن من استمالة الشيخ أحمد بن عايش، الذي أصبح داعيًا لمقاومة الاحتلال الفرنسي. ومع ازدياد التوتر، طلب الحاكم الفرنسي "جيميز" تقريرًا عن الوضع في جنوب بسكرة، وألقى باللوم على بولخارص لعجزه عن تقديم معلومات دقيقة[2].

حاول الضابط الفرنسي "لوفراو" (le froy) استمالة محمد يحيى عبر دعوته إلى بسكرة، لكنه رفض خوفًا من الاعتقال. وبعد محاولات عديدة فاشلة للتفاوض معه، قررت فرنسا مواجهة الثورة

[1] عبد الحليم صيد، **أبحاث في تاريخ الزيبان**، ط1، مطبعة سوف، الجزائر، 2000، ص ص 61- 62.
[2] شلبي شهرزاد، المرجع السابق، ص ص 92- 99.

بالقوة. في 30 أفريل 1876م أرسل الجنرال لوفراو إنذارًا إلى بني بوزيد يطالبهم بالاستسلام خلال 50 ساعة وإلا سيواجهون هجومًا عسكريًا كبيرًا[1].

بدأت المعركة في 27 أفريل 1876م في واحة العامري، حيث قُتل محمد يحيى وعدد كبير من رجاله، بينما جُرح الشيخ أحمد بن عايش. وتكبدت القوات الفرنسية خسائر. ورغم ذلك استمرت المقاومة، وقامت فرنسا باستقدام تعزيزات من قسنطينة وبوسعادة، وحاصرت الواحة من جميع الجهات. في 27 أفريل 1876م، بدأت القوات الفرنسية قصف الواحة لثلاثة أيام متواصلة، مما اضطر السكان إلى الاستسلام، وتم القبض على الشيخ أحمد بن عايش وإعدامه رميا بالرصاص. وكانت العواقب هذه المقاومة وخيمة، حيث فرضت فرنسا غرامات قاسية على السكان، فتمت مضاعفة الضرائب السنوية ثماني مرات، وصودرت الأراضي الزراعية والنخيل كما تم نفي العديد من سكان الوتحة إلى مناطق مختلفة[2].

[1] إسماعيل خنقوق، **دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1831- 1844**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخظر، باتنة- الجزائر، 2011/2010، 77

[2] عبد الحليم صيد، **أبحاث في تاريخ الزيبان**، المرجع السابق، ص 63.

خلاصة الفصل:

ومن خلال ما سبق نستنتج أن منطقة الزيبان تتميز بموقع استراتيجي يتجلى في خصائصها الجغرافية الفريدة ومناخها المميز. ايضًا تشتهر المنطقة بتنوعها الاقتصادي من زراعة وصناعة وتجارة. بالاضافة إلى ذلك، تحظى المنطقة بأهمية تاريخية منذ العصور القديمة، إذ شهدت مراحل ومحطات تاريخية بارزة.

وكغيرها من المناطق الجزائرية، تعرضت الزيبان للاحتلال الفرنسي بسبب ما تملكه من ثروات وخيرات. وكان لسكانها دور بارز وفعال في مقاومة هذا الاحتلال، حيث واجهوه بشتى الوسائل سعيًا للتخلص من سياسته الظالمة التي فرضت على سكان المنطقة.

الفصل الثاني:

الأنشطة الاقتصادية في منطقة الزيبان خلال فترة الاستعمار الفرنسي

أولا: القطاع الفلاحي

ثانيا: النشاط الحرفي

ثالثا: النشاط التجاري

رابعا: السياسة الإستعمارية الاقتصادية في الزيبان

كان سكان منطقة الزيبان يمارسون أنشطة اقتصادية تقليدية تعتمد أساسا على الفلاحة وتربية المواشي وبعض المهن والحرف البسيطة التي لها علاقة بالبيئة المحلية كان الهدف الأول من هذه الأنشطة هو حصولهم على قوتهم ومع بداية الاحتلال سعت السلطات الفرنسية إلى إعادة تشكيل البنية الاقتصادية بما يخدم مصالحها من خلال فرض بعض السياسات الاقتصادية كالاستيلاء على الأراضي وتشجيع بعض الأنشطة على حساب أخرى فهذه السياسة التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية تهدف على استغلال خيرات المنطقة لصالح المستوطنين والشركات الفرنسية وجعل اقتصاد المنطقة التقليدي تابع لها.

إن دراسة الأنشطة الاقتصادية في منطقة الزيبان خلال هذه الفترة تكتسي أهمية كبيرة وهي فهم التفاعلات بين السياسة الاستعمارية والبنية الاجتماعية لسكان المنطقة وفهم طبيعة التكيف الاجتماعي والاقتصادي مع التغيرات المفروضة.

أولا: القطاع الفلاحي

1-النشاط الزراعي

إقليم منطقة الزيبان من الأقاليم الجنوبية التي تستحوذ على مساحة قليلة صالحة للزراعة ويتميز هذا الإقليم كغيره من الأقاليم بقلة التساقط والجفاف فتصل نسبة التساقط في إقليم الزيبان إلى 170 مليمتر فتوجه السكان إلى زراعة النخيل كونه يعرف بمقاومته للجفاف والملوحة ويتميز بجذوره الطويلة التي تساعده في البحث عن المياه التي تكون في باطن الأرض، وغالبا ماكان السكان لايملكون المعلومات الكافية لمزاولة مهنة الزراعة ولا يزرعون إلا مايؤمن قوتهم وبحكم طبيعة المنطقة الصحراوية سادت زراعة النخيل [1] حيث أشارت الدراسات التي قام بها الرحالة نيال أوديلون (Neal Audélon) في كتابه جغرافيا الجزائر أن عدد النخيل في واحة بسكرة مئة وأربعون ألف نخلة وواحة القنطرة مئة وخمسون ألف نخلة[2]،كما نجد أحمد توفيق المدني قد تكلم أيضا عن عدد النخيل في واحة بسكرة حيث ذكر أن عدد النخيل في هذه الواحة يقدر بمئة وخمسون ألف نخلة وتطرق أيضا إلى ميعاد إثمار النخيل وإنتاج النخيل[3].

يتم انشاء الواحات في منطقة بسكرة بسبب وجود المصادر المائية في المخططات المتاخمة للأطلس الصحراوي القسنطيني، وهذه الواحات تمتد من الشرق إلى الغرب بين سلسلتين من الكثبان تقريبا متوازية وتحد بحوض ملحي وغير صالح للزراعة ومركز الواحة من الشمال هو الزاب الظهري ومنطقة طولقة 36 كلم غرب بسكرة وفي الجنوب القبلي وهو منطقة أورلال على الضفة اليسرى لواد الجدي على بعد 32 كلم على بسكرة وعدد النخيل الإجمالي في بسكرة 350 ألف نخلة، ومن جهة أخرى توجد الواحات المجاورة لها في كل من سيدي عقبة

---

[1] **ينظر للملحق رقم 03**

[2] Niel Odilon, **Grèographie de l'Algerie**, Ta, Imprimerie d' agenda 1876, p402.

[3] أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، (د. ط)، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص 195.

وشتمة اللتان تشكلان المصدر الرئيسي والحقيقي لزراعة نخيل التمور ومن بين أكثر سلالات التمور رواجا وشهرة في منطقة الزيبان والتي تتميز بنوعية ممتازة هي دقلة نور والعديد من أنواع التمور الأخرى كما أنها تتعرض لمرض يسمى بوفروة وهو عبارة عن سوس طفيلي يصيب المحاصيل ويتسبب في خسائر [1]، كما أن فرنسا فرضت ضريبة على كل نخلة يدفع صاحبها نصف فرنك حتى ولو لم تكن مثمرة، أما بالنسبة للإحصائيات (1918/1916م) أن عدد النخيل في واحة بسكرة لم يزد[2].

يزرع في المنطقة محاصيل غذائية محدودة تهدف إلى تلبية احتياجات السكان المحليين، يعتمد الفلاحون على زراعة الحبوب مثل القمح والشعير وفي سنوات القحط يظطر العديد منهم لبيع أراضيهم للأغنياء كما أن الأعراف المتوارثة لدى السكان تقر بأن ملكية الأرض تخضع لنظام العرش الذي يمنع الملكية الفردية وبالتالي عدم وجود حافز لاستغلال هذه الأراضي[3].

كما أن المناخ لا يسمح بذلك لأن تساق ط الأمطار غير كافي وعشوائي وإعتمادهم على مياه الوديان ومياه الآبار وهناك العديد من الأسباب التي جعلت زراعة الحبوب غير متطورة نذكر منها:

-أغلب السكان يمتهنون مهنة الرعي ويبحثون عن الكلأ ولا يستقرون في مكان واحد

-استعمال المحراث البسيط كما أن نةع التربة تفتقر إلى المكونات العضوية الضرورية

-سيطرة المستوطنين على أغلب الأراضي الخصبة والصالحة للزراعة

---

[1] جمال بن مسعود، **الصحراء الجزائرية تحت النظام العسكري لأقاليم الجنوب الجزائري 1902-1947م**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر، 2021-2022م، ص 119

[2] لخميسي فريح، **الثورة الجزائرية في منطقة الزيبان (إرهاصاتها و مسارها) 1919-1956م**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، 2017، ص 123.

[3] جمال بن مسعود، المرجع السابق، ص 95.

-إضطراب التساقط

-سيطرة الشركات الفرنسية على زراعة الحبوب[1]

بجانب زراعة الحبوب [2] (القمح والشعير) كانت هناك زراعة الخضروات تحت النخيل أو بينها، وكانت هناك أيضا زراعة للأشجار المثمرة مثل أشجار التين والمشمش وتجدر الإشارة إلى أن منطقة الزيبان مثلها مثل مناطق الجنوب الجزائري تأثرت بشكل كبير بالقوانين الفرنسية المتعلقة بالأراضي في السابق، كانت الأراضي الجماعية مثل العرش والحبوس والقبيلة تستغل من قبل الجماعة المحلية مثل العائلة والدوار ومع ذلك قام الاستعمار الفرنسي بخوصصة الأراضي من خلال مجموعة من القوانين وأبرزها :

-قانون سيناتوس- كونسليت الصادر في 22 أفريل 1863م.

-قانون وارني الصادر في 26 جويلية 1873م.

ينص هذان القانون على نزع الأراضي من الجزائرين ومنحها للأوروبين [3].

كان لهذه القوانين كان لها تأثير كبير على هيكل ملكية الأراضي في الجزائر مما أدى إلى تغيرات كبيرة في الحياة الاقتصادية للمجتمعات المحلية وبعد اصدار القوانين التي سمحت للمستوطنين بالتصرف في الأراضي وتحويلها إلى مصالح خاصة لإثبات عقود الملكية الخاصة

[1] جمال بن مسعود، المرجع السابق، ص ص 107- 108.

[2] **ينظر للملحق رقم 04.**

[3] مريم بوراية، **النظام القانوني للأراضي الفلاحية في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر** ، مجلة معالم الدراسات القانونية والسياسية، ع4، جوان 2018، المركز الجامعي، تندوف، ص 353.

وتحديد أراضي العرش وفي الفترة بين 1871م و1875م تم بناء 240 مركز استيطاني جديد وبدأت السلطة الاستعمارية بطرد الجزائريين من أراضيهم.[1]

قام العديد من المعمرين بإنشاء واحات جديدة في منطقة الزيبان بمساعدات السلطات الفرنسية تم إنشاء هذه الواحات في شكل مستثمرات فلاحية حديثة بجانب مؤسسات وشركات أخرى هدفها إنشاء واحات في المنطقة الواقعة بين بسكرة وتقرت، من بين هذه الشركات الشركة الفلاحية الصناعية للجنوب الجزائري واحدة من أبرز الشركات التي اهتمت بإنشاء واحات النخيل[2] ومن أشهر المستوطنين الذين أنشأوا هذه المستثمرات عائلة "ديغور" الذي عمل على امداد الجيش الفرنسي باللحوم والحطب مما جعله يكسب ثروة هائلة ومزرعتين تابعتين للمعمرين الأولى مزرعة جون بيشر والثانية مزرعة روزال.[3]

تُزرع عدة أنواع من الأشجار المثمرة في الواحات، مثل البرتقال والليمون والرمان والتوت والتين. أما الزيتون، فيُزرع بشكل خاص في منطقة الزيبان نظرًا لمردوديته العالية، وكذلك في منطقة بوعيش (ملحقة بني ونيف)، حيث يتواجد بأعداد كبيرة، مما دفع الإدارة الاستعمارية إلى إنشاء معصرة زيتون بلغت قيمتها 1200 فرنك، بالإضافة إلى ذلك، أنشأت السلطات الاستعمارية مشاتل في عدة بلديات لتوفير فَسائل الأشجار المثمرة للمستثمرين. أما في المناطق الشمالية من أقاليم الجنوب، فرغم تنوع الأشجار المثمرة، فإن زراعة المشمش تحظى بانتشار

---

[1] مقلاتي عبد الله، **المشروع الفرنسي الصليبي الإحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية 1830-1962**، وزارة الثقافة، الجزائر (د- س- ن)، ص ص 150-157.

[2] بوخليفي قويدر جهينة، **تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفظة '' الزيبان '' أطروحة دكتوراه** ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2017م، ص ص 101-102.

[3] العيد قيداد، **حواضر لها تاريخ (فوغالة، العامري، الدوسن)، الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ من حواضر ومدن وبلدات المنطقة**، دار الثقافة أحمد رضا حوحو، بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014م، الجمعية الخلدونية،2017، ص 289.

واسع، نظرًا لكونه منعشًا وطريًا، مما شجع السكان على زراعته بكثافة. وبسبب أهميته الاقتصادية، شرعت السلطات الاستعمارية في تصديره منذ عام 1909م.[1]

يعتبر القطن أحد المنتوجات التي تشتهر بها المنطقة حيث يصل انتاجه إلى 11 قنطارا في الهكتار ويصدر منه 03 قنطار، وفي سنة 1919م قام الملازم "بيكولوكس" بإجراء تجارب لزراعة القطن الإستوائي وتجارب أخرى تم إجراؤها على نطاق واسع في ربيع 1912م ومن جانب آخر قامت شركة بسكرة وواد ريغ بين سنتي 1896م إلى 1909م بتجارب زراعة القطن في منطقة الزيبان وواد ريغ التي أعطت نتائج جيدة كما ونوعا، كما تم زراعة الخروع في منطقة الزيبان الذي أعطى نتائج حسنة مما توجب على الإدارة الفرنسية دعمها لكل الوسائل الممكنة، كما أجرت السلطة الاستعمارية تحولا جذريا في الفلاحة التقليدية حيث قامت بتغيير نمط الزراعة في منطقة الزيبان من زراعة الحناء والتبغ إلى زراعة صناعية، كما تم تطبيق هذا النموذج الجديد في مناطق الزاب الشرقي خاصة في زريبة الواد والفيض[2].

2-أنظمة السقي:

تتميز منطقة الزيبان بتنوع واسع في مصادر المياه، حيث تختلف هذه المصادر باختلاف المناطق، وتشمل مياه الأودية والمياه الجوفية التي تم استغلالها من خلال حفر الآبار. تعتمد واحة بسكرة بشكل أساسي على واد بسكرة، الذي يفيض لمدة تتراوح بين يومين وثمانية أيام سنويًا، إلى جانب المنابع التي تقع بجوار أعلى الوادي. وقد أدى هذا إلى اعتماد النظام الواحي على جلب المياه لسقي المحاصيل، حيث كان يتم الإشراف على توزيع المياه من قبل "جراي الماء" أو "الميسر"

[1] جمال بن مسعود، المرجع السابق، ص 119.

[2] حورية طبعة، **السياسة الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة 1870-1954م**، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2020، ص 74.

نعرف أن بسكرة قديما واحة كبيرة بها أشجار النخيل وأراضي زراعية وأشجار أخرى كالزيتون والرمان والتين والحمضيات، فيما يخص ماء السواقي المنحدر من سفوح جبال الأوراس وبالظبط من شمال المدينة أو بما يعرف رأس الماء عند جبل الشيشة وبين وادي بسكرة توجد ينابيع مياه على طول العام تنبع ماء عذبا ومع وادي بسكرة اللذين يسقيان المدينة أرضا وعبادا ينساب هذا الماء في نهر واحد ثم يقسم إلى سواقي لكل حارة أو باب أو قرية تتكون منها مدينة بسكرة ساقية منها ويشرب منها الناس وتوجد سبعة سواقي للري مازالت إلى الآن في جنان البايلك كل ساقية بإسمها مثلا: ساقية باب الخوخة، ساقية باب الضرب، ساقية حي لمسيد وتشكل النبض الذي يحي البلاد، كان الساكنة يسقون منها نخيلهم وأراضيهم الزراعية وكانوا يبنون فوق السواقي مطاحن الحبوب تشتغل على تيار الماء المنسكب لكل باب أو قرية رحى أو مطحنة حبوب.[1]

يتم استخدام الساقية بشكل مستمر لمدة 24 ساعة، ابتداءً من صلاة العصر وحتى نفس التوقيت في اليوم التالي، ويتم استهلاك المياه وفقًا لعدد الحصص المتفق عليها بين المزارعين. أما واحات الزاب الشرقي، فهي تعتمد على الأودية القادمة من جبال الأوراس والنمامشة، والتي تتميز بعدم انتظام جريانها. ومن بين أهم هذه الأودية: واد العرب وواد عبدي، اللذان يسقيان واحات مثل سيدي عقبة، زريبة الوادي، الفيض، وخنقة سيدي ناجي. ومع ذلك، تفتقر منطقة الزاب الشرقي بشكل عام إلى المنابع الطبيعية، في المقابل، تعاني واحات الزاب الغربي من عدم قدرة الأودية على تزويدها بكميات كافية من المياه، مما يدفع السكان إلى الاعتماد على

[1] عبد الحميد زردوم، **البساكرة يتذكرون فرنسا 1844- 1962**، تر: أمال دهار ، مطبعة المنار بسكرة (الجزائر)، 2005، ص 30.

الآبار[1]. ومن أبرز الأودية في هذه المنطقة وادي الجدي، الذي ينبع من جبال عمور بالقرب من مدينة آفلو بولاية الأغواط، ليسقي واحة أولاد جلال قبل أن ينتهي عند شط ملغيغ.[2]

أما طرق استغلال المياه في المنطقة، فقد اعتمدت على أنظمة الري التقليدية مثل "الخطارة[3]" و"الماجن"، بالإضافة إلى استخدام السواقي والميزان لتوزيع المياه على الأراضي الزراعي، وفي إطار التدخلات الاستعمارية، قامت السلطات الفرنسية عام 1918 بفتح السد الموجود في جبال الأوراس لمدة عشرة أيام شهريًا (من نوفمبر إلى مارس) لسقي الواحات [4]. كما أنشأت في موسم 1912-1913 سدًا في ملحقة بسكرة، إلى جانب شبكة ري في منطقة فم الخرزة، مما سمح باستغلال مياه واد البيوض لسقي مساحات واسعة تمتد بين تهودا وسيدي عقبة وسريانة[5].أما في الفيض والمناطق المجاورة لها والتي يمر عليها واد العرب يقوم سكان المنطقة بإستغلال الأراضي التي هي على ضفاف الواد ويطلق سكان المنطقة على هذه الأراضي تسمية "الوطن" وهذه الأراضي تابعة لأراضي العرش ويتم تقسيم هذه الأراضي بين عائلات العرش على عدد أفراد كل عائلة وكل فرد من العائلة يحصل على فارس أي متر من الأرض ويتم حفر الساقية لإستغلال مياه واد العرب لسقي هذه الأراضي وتكون هذه الأراضي موجهة لزراعة الحبوب القمح والشعير بالدرجة الأولى[6].

---

[1] بوخليفي قويدر جهينة، **تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفظة '' الزيبان ''** ، المرجع السابق، ص ص 37- 40.

[2] أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية**، العربية للطباعة والنشر، الجزائر، 1948، ص 49.

[3] **ينظر للملحق رقم 05**.

[4] بوخليفي قويدر جهينة، **تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفظة '' الزيبان ''** ، المرجع السابق، ص ص 65- 66.

[5] CH. LUTAUD, **Expose de la situation Générale des Territoires du Sud de L'Algérie**, présenté par ImprimeurLibraire Editeur,Alge ,Année,1913, pp 70- 73.

[6] **مقابلة شخصية** مع سالم سايحي ببلدية الفيض، المولود خلال 1941،

كما تم بناء منشآت على الأودية الأوراسية لدعم تدفق المياه، مثل المنشآت المقامة على واد العرب بالقرب من خنقة سيدي ناجي، وواد مستاوة بالقرب من تاجموت. وقد لعبت هذه المشروعات دورًا أساسيًا في تعزيز الزراعة الصحراوية، حيث كان يتم تحويل الإنتاج الزراعي من الحبوب إلى زراعة النخيل، في إطار الانتقال من الاقتصاد المعاشي إلى اقتصاد السوق، أما توزيع حصص المياه، فقد كان يتم بالاتفاق بين سكان المنطقة وفقًا لنظام "النوبة"، الذي يحدد توقيت وكمية المياه المخصصة لكل مزرعة، مما يضمن استغلال الموارد المائية بطريقة عادلة وفعالة[1].

أما بالنسبة للأبار لتعزيز الاستيطان الفرنسي الزراعي في المنطقة، أعلنت الشركة عن قدرتها على حفر الآبار الارتوازية[2]، مستفيدة من كونها الجهة الوحيدة التي تمتلك معدات الحفر في المنطقة. وقد سعت بذلك إلى إثبات قدرتها الفعلية على الاستثمار، مما مكنها من تقليل التكاليف مقارنة بالشركات المنافسة. وبفضل جهودها، حصلت شركة واديريغ على الميدالية الذهبية وشهادة شرفية خلال معرض الجزائر السادس الذي أُقيم عام 1889، حيث تم تكريم السيد (Fau) بوسام الاستحقاق الزراعي.[3]

أنظمة السقي والري في منطقة الزيبان خلال الفترة الإستعمارية كانت تعكس السياسات الاستعمارية الفرنسية المطبقة في هذا القطاع من بناء سدود وحفر للآبار هذه السياسات كان المراد منها فرض السيطرة وتعزيزها فعلى الرغم من هذه الأنظمة ساهمت في تطوير الزراعة وإزدهارها في منطقة الزاب لكن لا ننسى بأن منتوج الزراعة كان موجه نحو تلبية احتياجات المستعمرين الفرنسين.

---

[1] بوخليفي قويدر جهينة، **تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفظة '' الزيبان "**، المرجع السابق، ص ص 226– 227.

[2] **ينظر للملحق رقم 06.**

[3] ليلى سعداوي، **التحولات الاقتصادية والاجتماعية في مدينة بسكرة خلال الفترة الاستعمارية** ، مج 08، ع02، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، الجزائر، 2022، ص 188.

خريطة أنماط السقي في مجال الزيبان

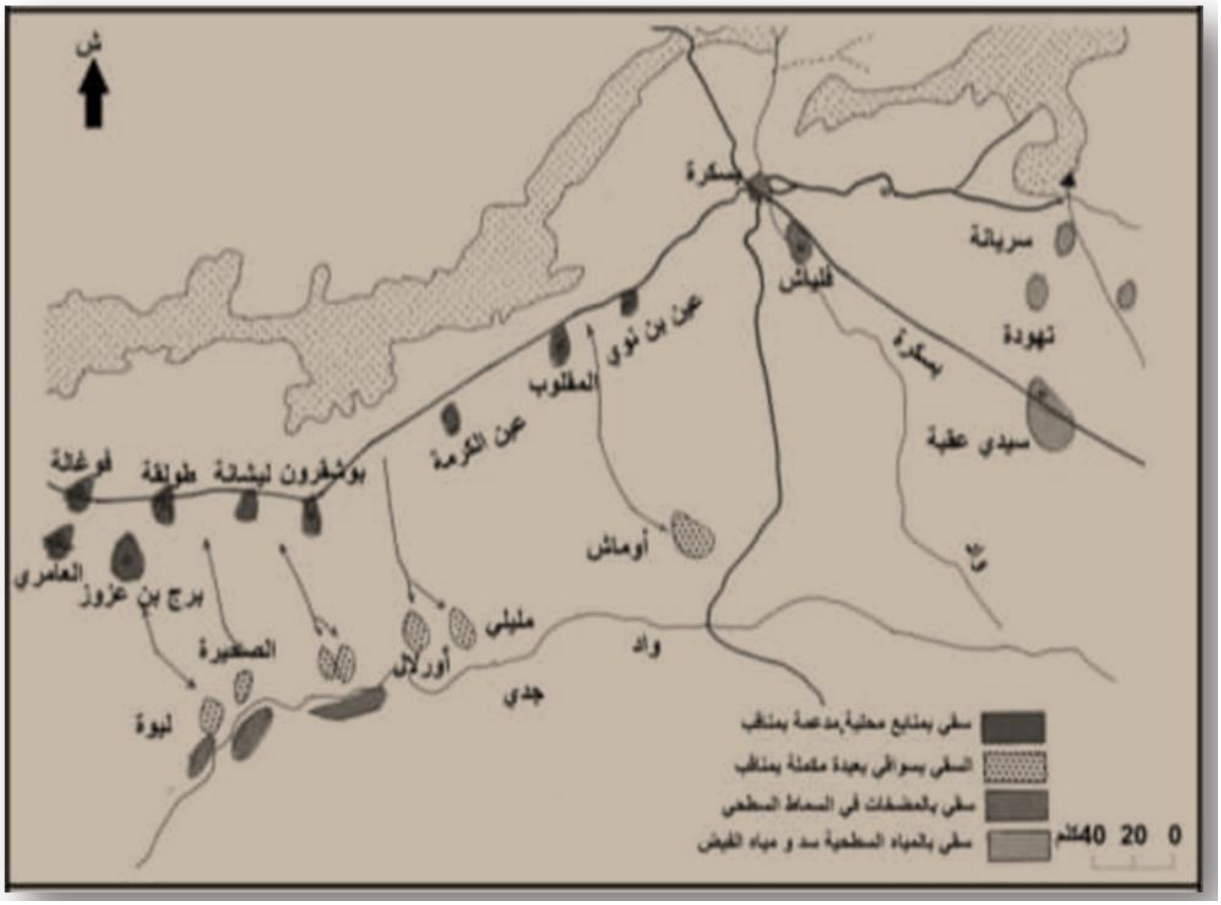

– المصدر: بوخليفي قويدر جهينة، تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفظة '' الزيبان '' المرجع السابق، ص 39.

3-تربية المواشي:

يكتسي نشاط تربية الحيوانات أهمية كبرى في حياة المجتمع الجزائري عامة وعند المجتمع الزابي خاصة لا سيما وأنه يهدف إلى تغذية السكان حيث يسود الماعز والخراف المنطقة أما الأبقار فهي ضعيفة بالإضافة إلى أن الإهتمام بالزراعة يستلزم تربيتها بحيث يتم الإعتماد عليها في الحرث ونقل المحاصيل ومن هذه الحيوانات الأغنام الماعز والبغال [1]، فهي إلى جانب النخيل ثروة العرب الكبرى الوحيدة الموجودة في حياة الجنوب وتشمل ماشية الغنم في القطر الجزائري نحو السبعة ملايين رأسا فالجائحات تقضي أحيانا على هذه الماشية فتحط عددها لنحو النصف لكنها سريعا ما تعود لعددها بالإضافة إلى الجفاف وما يتبع ذلك من قلة الماء والمرعى وتنتج الأغنام[2] الصوف وتوجه كلها للإنتاج المحلي.[3]

تربية المواشي لم يكن مجرد نشاط ثانوي بالنسبة للاستعمار الفرنسي ، قد زج الاستغمار بأنفه في هذا الجانب أيضا ومن السياسات التي أدخلها الاستعمار في هذا القطاع نذكر:

كلفت السلطات الفرنسية الهيئات في بلدية بسكرة والتي تعني بالشؤون البيطرية قصد توجيه المربيين من السكان عن البحث عن أنجع الطرق لتحسين القدرة الإنتاجية لقطعانهم وبالفعل تحسن مردود هذه القطعان بسبب الإجراءات الادارية كإنجاز نقاط الماء من خلال توفير عدد كبير من الصهاريج قرب مراعي القطعان وإعادة حفر عدد كبير من الآبار.

شجعت فرنسا تربية الخيول وخصصت لها نفقات خاصة من أقليم الجنوب وبلغت هذه النفقات 20.180 فرنك سنة 1908م ومن هذه الأقاليم ملحقت بسكرة وتقدر النفقة ب 2.100 فرنك ومن التحسينات التي قامت بها السلطة الاستعمارية الفرنسية في مجال تربية المواشي انها قامت بانشاء مزارع النموذجية بغرض الإستغلال الأمثل للموارد الطبيعية بأقاليم الجنوب خاصة

---

[1] عدي الهواري، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي. 1830م/1969م**، تر: جوزف عبد الله، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1983، ص 90.

[2] **ينظر للملحق رقم 07.**

[3] أحمد توفيق المدني، **جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية**، المرجع السابق، ص 58

تربية الأغنام ومن هذه المزارع النموذجية مزرعة عين بالنوي التابعة لملحقة بسكرة حيث عملت الإدارة الفرنسية على إستحداث طرق تتعلق بتربية الاغنام تتماشى مع الظروف الخاصة بهذه المناطق.

تجدر الإشارة إلى أن منطقة أولاد جلال تملك احسن السلالات في الأغنام حيث قامت فرنسا بإنشاء محطة لتربية الأغنام في أولاد جلال تتمتع بسلالة ممتازة من ناحية الوزن ونوعية الصوف وبلغت تكلفة المحطة حوالي 700 ألف فرنك خصصت من ميزانية أقاليم الجنوب كما أنها عملت على مكافحة الأمراض المهددة للمواشي من خلال القيام بعملية التلقيح [1]، تمتاز سلالة أولاد جلال بشكلها المتناسق وهامتها المرفوعة وطول جذعها [2] وعرف أولاد زكري بتربية هذه السلالة المشهورة عالميا ومن المعروف ان منطقة بسكرة تحتوي على أجود انواع التمور لذلك ما ميزها ان تكون مرتعا لاجود السلالة من الأغنام في الجزائر وخاصة منها سلالة الإبل.[3]

هناك عوامل أثرت على عدد الماشية في المنطقة ومن هذه العوامل قيام السلطة الاستعمارية بعمليات السلب والنهب التي كان يقوم بها القياد وتوابير الجيش الفرنسي حيثنهب عن طريق طابور بسكرة 5500 شاة و 100 بقرة او عجل و 40 بغلا[4] بالإضافة إلى سنوات القحط والجفاف التي كانت تصيب المنطقة من وقت لآخر وكذا الأوبئة فتكت بالماشية فالجفاف الذي اجتاح المنطوقة بين 1920 – 1924م أدى إلى فقدان ثلثي الماشية[5]عموما منطقة الزيبان

---

[1] جمال بن مسعود، المرجع السابق،ص ص 121– 125.

[2] وزارة الثقافة، **بسكرة أسوار من حضارة**، وزارة الثقافة، الجزائر،(د، س)، ص 71.

[3] محمد العربي حرزالله، **منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830– 1930)**، دار السبيل، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص 23.

[4] أحميدة عمراوي، المرجع السابق، ص 138.

[5] داود شريف، **التوسع الاستعماري في الجنوب الجزائري 1912/1844**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخظر، باتنة، الجزائر، 2016/2015، ص 148.

لم تعرف نشاط تربية المواشي بالحجم الكبير باستثناء منطقة أولاد جلال المعروفة بالسلالة الممتازة وتميز لحمها بنوعيته الجيدة وطعمه المميز لخصوصية نباتات مراعي أولاد جلال.

ثانيا: النشاط الحرفي

1-صناعة النسيج والجلود

تعرف منطقة الزيبان بمجموعة من الصناعات الحرفية ومن بين هذه الصناعات الصناعة النسيجية التي تختص في صناعة الأفرشة والأغطية والألبسة عرفت هذه الصناعة نتيجة لوفرة المواد الخام مثل الصوف والحرير والكتان ومن أهمالمنتوجات التي تتم صناعتها نجد البرانيس ووالقشاشب والأغطية كالحنبل والزرابي ، الجبب، الخيام والعمائم، الحبال، الخيوط، المخدات ترتكز صناعة الزربية في الواحات الجنوبية ببسكرة[1] وفي ذلك الوقت كانت الصناعات النسيجية تعيش الإزدهار لدرجة أن كل منزل في المنطقة يملك منسجا وهذه الحرفة كانت تزاولها النساء في الغالب لأن الرجال يهتمون بالفلاحة وتربية المواشي والصناعات الأخرى لذلك نجد الرحالة سيمبسون في كتابه رحل في ربوع الأوراس وزيارته لمنطقة القنطرة تصنع النساء البرنوس والحايك.[2]

ان مدينة طولقة كانت معروفة بهذا النوع من الصناعة الحرفية فكثر فيها النسيج الصوف والحرير وكانت المرأة الطولقية تنسج الخيام والأفرشة والأغطية والزرابي والملابس الخاصة

[1] يحي بوعزيز، **الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر** ، مجلة الثقافة، ع 80، وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر، 1984، ص 168.

[2] عبد القادر بومعزة، **بسكرة في عيون الرحالة الغربيين**، ط1، ج1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2016، ص 59.

بالنساء كالجيب والملحفة كما تجدر الإشارة الى مدينة طولقة كان بها مصنع لصباغة الصوف ليتلون بألوان مختلفة [1]وتعرف الزيبان وتختلف من حيث حجمها وشكلها وسمكها فمثلا نجد الزربية وتنسج أيضا أغطية ويعرف في منطقة الزيبان بالحنبل او الحولي وهو غطاء غليظ في الحجم تستعمل فيه الكثير من الألوان[2].

أما سكان أولاد جلال فقد عرفوا هذا الفن منذ القديم وتستعمل في هذه الحرفة التقليدية آلة المنسج وهي آلة بسيطة تقليدية تساعد على إنتاج أنواع كثيرة من احتياجات الأسر كالبرانيس والقشاشيب وهذه الآلة تستدعي مهارات خاصة تملكها بعض كبيرات السن وتنقلها بأمانة إلى الأجيال اللاحقة من البنات لأن عملية النسيج تحتاج إلى أعمال هامشية كثيرة كالسدوة [3]وتعليق المنسج وتصفيف الخيوط[4]، تحضى صناعة الزربية في منطقة الزاب بأهمية كبيرة والتي تتميز بنوعية وألوان خاصة ومن أجل الإستفادة من هذه الصناعة عملت الإدارة الفرنسية على تعميمها في المنطقة وبإقتراح من السلطات المحلية قام الحاكم العام بإنشاء ورشات ليعلم صناعة الزربية وتم تخصيص قرض مالي لهذا المشروع كما أن الجنوب الجزائري يتوفر على كمية هائلة من الصوف إلا أنها لم تستغل بالشكل المطلوب وهذا ما حفز الإدارة الفرنسية على فتح معامل لتشجيع الحرفيين على الإنتاج وعلى إستغلال إمكانيات الجنوب من أجل تدعيم الإقتصاد الإستعماري ومن أجل إستغلال ورشات الحلفاء والنخيل في صناعة الحبال الزرابي والأغطية بالإضافة إلى صناعة الأفرشة إلا أن هذه الأخيرة لم تعطي نتائج مشجعة فقامت المنظمة

---

[1] محمد قويدري، **بلدات طولقة وبرج بن عزوز وفرفار وليشانة حواضر العلم والدين وحواضن الجهاد والاستشهاد** ، (الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23- 24- 25- 26 ديسمبر2014م، الجمعيةالخلدونية، 2017م، ص 188.

[2] عبد القادر صيد، **بلدة ليشانة محضن العلم والمقاومة** "،الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان،دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر2014م، الجمعية الخلدونية،2017م، ص 205.

[3] السدوة: هي العملية الأولى في المنسج، تتم على الأرض بإستعمال أدوات خاصة منها الملازم والقصبة والنيرة ولابد من التعاون لانجاز هذه العملية المعقدة ينظر: محمد العربي حرزالله، **أولاد جلال أصالة، حضارة وتاريخ**، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 316.

[4] المرجع نفسه، ص 316.

الحرفية بإقليم الجنوب باعطاء إحصائيات من أجل فتح الورشات فتم فتح ورشةخاصة في سيدي عقبة وزريبة الواد لصناعة النسيج وقامت الأخوات البيض بإنشاء معمل لنسج الزرابي [1] في مدينة بسكرة حيث يعملنا هناك بنات المدينة [2] وتستعمل في هذه الحرفة أداة تقليدة تسمى المنسج فكل المنتوجات المصنوعة من أفرشة وأغطية وألبسة يعتمد في إنجازها على مواد أولية متوفرة بالمنطقة وكانت المنتوجات النسيجية الصوفية من برانيس وزرابي وأغطية ذات شهرة وطنية بحيث كانت تباع البرانيس الفاخرة في أسواق الجزائر العاصمة وقسنطينة وكان يرتديها كبار الذواودة والقانات كما كانت تهدى البرانيس إلى الشيخ ابن باديس فاشتهر بذلك البرنوس الخالدي شهرة عالية وكان التجار يبيعونه بأسعار غالية ، وظلت هذه الصناعة مزدهرة ومتنامية بحيث كان من النادر افتقار بيت إلى آلة منسج عائلي، وكانت النساء تتولى كسوة الرجال والأطفال وتأثيث البيت بكل فخر واعتزاز وويل لمن كانت لاتحسن مثل تلك الحرفة الأصيلة[3].

تمر صناعة الجلود بالعديد من المراحل كالتنضيف والغسيل والغليان والصباغة ومن أهم المصنوعات تجد الحقائب والنعال أما عن المناطق التي تشتهر بصناعة الجلود واحة طولقة فقد أحتوت على معمل لصنع الأحذية الجلدية وصناعة القربة لحفظ الماء والشكوة لحفظ اللبن والعكة لحفظ السم.

عمل الاستعمار الفرنسي منذ دخوله لأرض الزيبان والأراضي الجزائرية ككل على تدمير الصناعة الحرفية والقضاء عليها من خلال وضع قوانين وتشريعات لإلغاء التنظيمات الحرفية مثل التسويق والتدريب على الحرفة، وفي المقابل قيام صناعة حديثة لكن تبقى الجزائركسوق

---

[1] **ينظر للملحق رقم 08.**

[2] أحمد خمار ، المرجع السابق، ص 71.

[3] محمد العربي حرز الله، **الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاستعمار** ، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2005، ص ص 388-389.

مفتوحة أمام الصناعة الفرنسية فقد أدى تدمير الصناعات الحرفية ومن بينها الصناعة النسيجية إلى ضرب مصدر المعيشة الأساسي للفرد الزابي خاصة والجزائري عامة[1].

-صورة لنسوة يمارسن حرفة النسيج[2]

- **المصدر: صورة مأخوذة من مقطع فيديوا على تطبيق اليوتيوب، تحت عنوان حياة البدو في نواحي الزيبان، رابط الفيديوا:**

[1] احمد تريكي، **نظرة تاريخية للتعليم والوضع الاقتصادي للجزائر قبل واثناء الاحتلال** ، مجلة قرطاس، العدد 02، جامعة بشار، الجزائر، 2015، ص 163.

[2] صورة مأخوذة من مقطع فيديوا على تطبيق اليوتيوب، تحت عنوان حياة البدو في نواحي الزيبان، رابط الفيديوا: https://youtu.be/AIbuq1A7BGA?si=WnSGr3iMit_0Xz_N

https://youtu.be/Albuq1A7BGA?si=WnSGr3iMit_0Xz_N

2-الصناعة الفخارية وفنون الزخرفة:

الصناعة الفخارية عبارة عن حرف يدوية متقنة تحمل رسوم وتصاميم توحي بخصوصية المنطقة، وتعد من الحرف التقليدية التي لازمت سكان المنطقة منذ القدم، بحيث كانت الأدوات الفخارية تلبي الحجيات اليومية في سكان منطقة الزاب مثل طهي الطعام وحفظ المياه والمادة الأساسية التي تصنع منها هذه الحرفة هي الطين، فصنعوا منها الجرار والقدور والكسكاس وغيرها من أواني الطبخ وأدوات الزينة المنزلية وبهذه الصناعات صارت المنطقة قبلة للكثير من الحرفيين الذين يشترون المصنوعات الفخارية بأثمان زهيدة ثم يقومون بزخرفتها ودهنها من جديد، ثم يبيعونها بإسم المنطقة التي سوقت إليها بأسعار غالية.[1]

من المناطق التي عرفت بصناعة الفخار في إقليم الزيبان نجد منطقة مشونش فمن المعلوم أن صناعة الفخار تقتصر على نساء المنطقة دون الرجال، وهذا ما لوحظ فعلا في الأواني التي تقدمها نساءهم وقد أكد ذلك كل من CHarles André و Jacques Lizot<< أن صناعة الفخار هي أصلا من إختصاص المرأة البربرية>>، أما عن المراحل وتقنيات التي تمر بها صناعة وتشكيل الفخار في منطقة منشونس فهي أربعة مراحل المرحلة الأولى والتي تتمثل في تحضير الطينات اللازمة في عملية التشكيل أما المرحلة الثانية فهي مرحلة تشكيل الأواني ويتم التشكيل باليد، وبالنسبة للمرحلة الثالثة فهي مرحلة التجفيف والحرق وفي المرحلة

[1] مباركة زبيدي، **الأوضاع الصحية في منطقة الجنوب الشرقي للجزائر بين (1900-1962) (بسكرة. الوادي. ورقلة) أنموذجا** ، مذكرة دكتورراه في علوم التاريخ الحديث والمعاصر،قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخظر بالوادي، الجزائر، 2024/2023م، ص 49.

الرابعة والاخيرة هي مرحلة الزخرفة والتزيين، أي تزيين وزخرفة الفخار بإستعمال التلميع أو بالفرشاة.[1]

القنطرة أيضا منطقة من إقليم الزيبان كانت معروفة بالصناعة الفخارية مثلها مثل منطقة مشونش يمتازان بوجود مادة الطين أو الصلصال فيتم تشكيلها إلى أواني مزلية وأدوات لزينة المنزلية، هذه الحرفة اليدوية لم تكن منتشرة في إقليم الزيبان عكس الحرف الأخرى.

3-صناعات يدوية أخرى:

هناك الكثير من الصناعات والحرف اليدوية الأخرى التي كانت تمارس من قبل سكان منطقة الزيبان كحرفة الحدادة وصناعة الحلي صناعة أدوات نسيج سعف النخيل والكثير سنحاول التطرق لكل حرفة من هذه الحرف اليدوية الحرفة الأولى هي حرفة الحدادة [2] وينتج أصحابها الخناجر والسكاكين والفؤوس والقادومات والأباريق واللجام والبنادق والصحون والمحارث وتزدهر هذه الصناعة في منطقة الأوراس[3].

أن هذه الحرفة اشتهرت كثيرا بأولاد جلال حتى أن أحد شوارعها الرئيسية اتخذ له اسم شارع الحدادة ولا تزال هذه الحرفة قائمة إلى يومنا هذا وفي الشارع نفسه الذي يحمل اسمها ويصنع الحدادون أدوات تقليدية مفيدة وتقوم صناعتهم على وسائل بدائية ذات قيمة تراثية كبيرة[4] ومنها المطرقة والكلاب وطاقة الفحم التي لا يمكن للحداد أن يستغني عنها أبدا، ومن

---

[1] أحلام عماري وسهام وناسي، **صناعة الأواني الفخارية لدى المرأة الأمازيغية لمنطقة مشونش** ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 14، ع02، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2022، ص ص 130- 132.

[2] **ينظر للملحق رقم 09**

[3] يحي بوعزيز، **الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر** ، المرجع السابق، ص ص 169- 170.

[4] **ينظر للملحق رقم 10**

أهمية الصنعة أن الحداد يستعمل وسائل عمله بيده ولا يحتاج إلى أية أداة لتطويع الحديد والفولاذ الذين طوعتهما له الحرفة، وتعد الحدادة من أكثر الحرف التصاقا بالمجتمع نظرا لارتباطها بالحياة اليومية وبمصادر الإنتاج التي تؤمن حياة المواطنين فهي ذات علاقة بالنخل بإنتاجها للمسحاة والمنجل وبالزرع لا نتاجها السكة ومنجل الحصاد وبالدور والمساكن من خلال الأدوات المنزلية المختلفة من أقفال ومفاتيح ومفاصل وحتى أدوات المطبخ التي كان يتدخل الحداد في إصلاحها، لأن المواعين لم تكن متوفرة بهذا القدر المعروف اليوم ولم تكن في متناول عامة الناس[1].

كانت حرفة الحدادة متواجدة في المنطقة حيث كانت تصنع العديد من الأمور كما ذكرنا حيث أنتشرت هذه الحرفة بكل من منطقة طولقة وسيدي خالد ومن الحدادين المعروفين في المنطقة نجد المبروك بن موسى لهويمل والبركة بن عمر الهاني وأخاه محمد ولخظر بن براح غربية[2] أما عن صناعة الحلي فتشتهر مختلف مناطق أنحاء الوطن بهذا النوع من النشاط ونجده في الأوراس والزيبان حيث يصنع أغلب الحلي من الفضة ويمتاز بدقة النقوش كالحزام الفضي والعقد والقيراط وقد اشتهرت منطق ة مشونس بهذه الصناعة ومن منطقة طولقة أيضا صانعي المجوهرات[3]

أما عن صناعة أدوات نسيج سعف النخيل فتعتبر من الحرف التي عرفها الإنسان منذ القديم وخاصة في المناطق الصحراوية وهذا نظرا لوفرة وجود النخيل وموادها ومن ثم توفر وجود منتجاتها التي تشمل الأطباق السعفية وبناء المنازل بجذع النخل وجريدها وبناء سقوف البيوت بها حيث أنها تعرف بشدة مقاومتها في النخلة في منطقة الزيبان كانت ولا زالت مصدر فخر وإعتزاز لسكان المنطقة فإنتاجها يدخل في جمع الأدوات التقليدية فجميع البيوت

[1] محمد العربي حرزالله، **أولاد جلال أصالة، حضارة وتاريخ**، المرجع السابق، ص ص 317- 318.

[2] محمد العربي حرز الله، **الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاستعمار**، المرجع السابق، ص 395.

[3] وزارة الثقافة، **بسكرة أسوار من حضارة**، وزارة الثقافة، الجزائر، (د، س)، ص 36.

الصحراوية دخل جذع النخلة الألوان التي يتم مزجها في صناعة السعف وتزيينها تتمثل في الألوان التي تعكس جمال الحياه الصحراوية مثل اللون الوردي أحمر، أزرق، أخضر والبني وهذا حسب إحدى الحرفيات التي تم استجوابها بهذا الخصوص[1].

أما عن صناعة المعادن الثمينة فيضيف الرحالة فيليكس هاتفورد (Félix Hatford) أثناء زيارته لبسكرة أنه هناك يهود يعملون في صناعة المعادن الثمينة كالذهب والفضة بالإضافة لأن منطقة الزيبان عرفت فيها صناعة الآلات الموسيقية كآلة الناي [2]. كما كانت هناك أيضا حرفة النجارة في المنطقة التييعتبر خشب النخيل هو المادة الأساسية والرئيسية لصنع الأبواب والنوافذ والعوارض المستعملة لأغراض معينة، حيث يقول محمد العربي حرزالله أن سكان أولاد جلال يستعملون أيضا عود شجر المشمش في بعض الأغراض كصناعة مخاصم البنادق كما يستعملون الطرفة والدفلى في أغراض أخرى كصناعة سروج الخيل، بالإضافة إلى حرفة الخياطة التي تعلمها سكان منطقة أولاد جلال حتى قبل ظهور الماكينات ولم يكن فن الخياطة حكرا على الرجال بل كانت النساء تمارسن هذه المهنة داخل البيوت باستعمال الإبرة والخيط فقط فكانت تخيط ثيابها وثياب أبنائها بيدها ومن الخياطين الأوائل المهرة الذين احترفوا الخياطة نذكر سي أحمد بن رزوق وعلي بن الزدام، ومن الحرف النادرة بالمنطقة حرفة ملصق الأزرار هذه الحرفة الفريدة من نوعها التي يقتصر صاحبها على إلصاق أزرار الألبسة المختلفة وأشتهر بهذه الحرفة الطريفة سي بلقاسم بنى الشريف داسة الذي كان يقتصر عمله على هذه المهنة [3]،

[1] أحلام عماري وسهام وناسي، **الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر** ، مجلة أنثروبولوجيا، مج08، ع01، جامعة باتنة، الجزائر، 2022، ص ص 475- 476.

[2] L'Abbé Jean Hurabielle (ancien secrétaire du cardinal Lavigerie), **Au paydu bleu**. Biskra. Paris, Augustin Challamel, Eduteur, 1899, p 38

[3] محمد العربي حرزالله، **أولاد جلال أصالة، حضارة وتاريخ**، المرجع السابق، ص ص 313- 314.

لا يمكن حصر الصناعات المحلية والحرف اليدوية كلها فهي تنجز يوميا بواسطة أيادي ماهرة فتغطي جميع احتياجات البيوت والأسر [1].

عملت فرنسا على كسر التنظيم الإقتصادي والاجتماعي والتقليدي وخلق نظام جديد يعرف بالرأسمالية العقارية ومنها المستثمرات الفلاحية الرأسمالية حيث كانت الفلاحة تعد نواة الصناعة التقليدية والحرفية مما نتج عن هذاالأخير تهميش من حيث مناصب الشغل ووسائل الإنتاج والإستهلاك أدى إلى الضعف في قاعدته بإستثناء حرفة النسيج حيث بقي السكان داخل الدوار يعيشون على الحرفة بتقنيات قديمة[2].

ثالثا: النشاط التجاري

1-التجارة المحلية:

التجارة من أهم النشاطات بالنسبة للسكان منطقة الزيبان خلال الفترة الإستعمارية الفرنسية فهذا النشاط كان داخلي أي أنه يتم في القرى والمداشر حيث كانت في المنطقة أسواق [3] خاصة دورية أسبوعية على مدى أيام الأسبوع مثل سوق الخميس وسوق الجمعة وهكذا كل يوم يعقد سوق أو عدة أسواق في قرى معينة يتجه إليها الناس مبكرا من كل الجهات [4] تباع في الأسواق الخضر والفواكه والأواني الفخارية والقفف وسلال الجريد وهي تعكس عادات وتقاليد منطقة الزيبان.

[1] محمد العربي حرز الله، **الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاستعمار**، المرجع السابق، ص 398.

[2] زهية حساين، **الحرف والحرفيون في الفترة الاستعمارية** ،مجلة العلوم الإنسانية، جامعة وهران الجزائر،ع04- 05 ،جويلية 2014/2013، ص ص 328- 329.

[3] **ينظر للملحق رقم 11**

[4] يحي بوعزيز، **الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص 172.

كانت توجد في الأسواق مطاعم ومخابز ومطاحن أسسها الأوروبيون لتنشيط الحركة التجارية في بسكرة فالإيطاليون والإسبان إهتموا بإنشاء محلات للتجارة والنقش على الرخام وصناعة الزجاج وبيعهم أما اليهود إهتموا بتجارة المجوهرات والحلي والخياطة وتصليح الأحذية [1] كانت التجارة تنشط في الأسواق خلال فصل الربيع وفصل الصيف والخريف أما فصل الشتاء فتشهد التجارة ركود بسبب قسوة البرد وقلة البضاعة والمنتوجات [2] إنتعشت التجارة في المنطقة خاصة عندما كثر عدد المعمرين وظهرت شركة النقل الصحراوية فنشطت تجارة التمور وبرعوا في تسويقه إلى الخارج وفق أنواع المواصفات والشروط الدولية [3] . كان الإهتمام بالنشاط الاقتصادي من أولويات الإدارة الاستعمارية الفرنسية في مدينة بسكرة لهذا تم إنجاز سوق تجارية سنة 1855م بالجهة الغربية للساحة الكبيرة العقيد العربي بن مهيدي حاليا.[4]

يتطرق الرحالة جون هيرابيال إلى الجوانب الإقتصادية للمنطقة أثناء زيارته لمدينة بسكرة حيث قال سوق المدينة الحديثة أو الأوروبية يعبر بصدق على حيوية ذلك النشاط، جلبت أنظار الأوروبيون والزوار عامة حيث يخبرنا هيرابيان أنه إحتوى كل عجيب وغريب ففيه تعرض السلع القديمة من باريس غير أن أهمجهة تجلب إهتمام الزائر تلك التي تعرض فيها الزواحف وبعض الآلات الموسيقية العربية وخاصة الناي والسكاكين المصنوعة من قبل التوارق إلى جانب الحصائر والأغذية التي تنسج في نفس المكان ويوجد بالسوق أيضا جهة يباع فيها الملح على شكل كتل والخشب الذي يجلب على ظهر الأحمرة و البغال والجمال من منطقة لوطاية والصحراء.[5]

---

[1] فؤاد بن غضبان، **أثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية على البنية التجارية للمدن الصحراوية الجزائرية** ، دراسة في مدينة بسكرة – الجزائر، ملتقى دولي حول تحولات المدينة الصحراوية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2010، ص ص 63- 65.

[2] يحي بوعزيز، **الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص 173.

[3] حورية طبعة، **السياسة الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة 1870-1954م**، المرجع السابق، ص 134.

[4] Abdelhamid zerdoum, op, cit. p 22.

[5] L'Abbé Jean Hurabielle,op, cit. p p 38-39.

يصف الرحالة فيليكس هاتفورد السوق بقوله أنه تاجر صغير تحت ظل الأقواس أي أنه مقهى بجانبه مطعم يقدم أطباق شعبية للفقراء او الضعفاء وفي مكان آخر تجد رائحة التوابل التي تختلط مع رائحة الجلود أو الطلاء هؤلاء من بني مزاب جاؤوا لصنع ثروتهم ومنهم أهالي بكوش عبد الله كما أن بني مزاب يحتكرون تجارة القماش والقفطان والحايك أما اليهود فيتاجرون بالذهب والفضة[1].

المقايضة هو نوع من أنواع التجارة التي كانت تمارس في قرى ومداشر منطقة الزيبان فتقوم هذا العملية على تبادل السلع بين الناس فمثلا يأتون أفراد من بلاد القبائل الصغيرة يحملون سلعا مثل الزيتون والخروب على الأحمرة والبغال ليتبادلون هذه السلع مع المناطق التي تنتج القمح والشعير والتمر[2].

2-التجارة الخارجية:

كانت التجارة الخارجية من الأنشطة الإقتصادية التي يمارسها سكان منطقة الزيبان بينهم وبين سكان الشمال، فهناك تبادل التجاري فهي فتعتبر هذه المنطقة نقطة عبور الكثير من القوافل التجارية، كقافلة قفصة وقافلة سكيكدة، ومن ميزات هذه القوافل أنهت تتاجر بالبضائع المحلية وبضائع أوروبا المستوردة فيستغلون سكان المنطقة مرورها ويحشدون سلعهم وبضائعهم ومن المنتوجات التي تباع التمور بدرجة أولى والصناعات النسيجية ثم الحبوب والأدوات الحديدية وكانت مدينة بسكرة مركز عبور القوافل التجارية الصحراوية ونقطة لقاء التجار كما

[1] عبد القادر بومعزة، ، المرجع السابق، ص ص 36- 37.

[2] يحي بوعزيز، **الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر** ، المرجع السابق، ص ص 172- 173.

ذكرنا فقد كانت حلقة الوصل ما بين بلدان عربية عن طريق الواحات مثل السودان ليبيا تونس والمغرب.[1]

تركزت التجارة الخارجية في منطقة الزيبان على الصوف والحبوب والزيت والأقمشة القادمة من تونس فكانت على صلة متينة بتقرت فظلت تحافظ على العلاقة التجارية معها خاصة في ماده الصوف حسب تقرير النقيب "بواسوني" وبذلك فإن مدينة بسكرة كانت بالنسبة لضباط المكاتب العربية من أهم المدن التجارية بالجنوب القسنطيني التي كان يعلق عليها الإستعمار آمالا كبيرة فسجل لنا هؤلاء الظباط هذا الانطباع عن حالة التجارة بها فالتطور التجاري الذي كان يأخذ يوما بعد يوم إنتشارا كبيرا في المنطقة قد يحقق آمالا كبيرة في المستقبل بطبيعة الحال لصالح السلطة الاستعمارية.[2]

كانت التجارة بسوقها الرئيسي ذو أهمية بالغة فظل يتوافد عليه التجارمن مختلف المناطق من الصحراء ومن ومن بلاد القبائل كما تتم المبادلات التجارية خاصة مع الجريد التونسي وسوف، فهي من الناحية الإقتصادية والسياسية ذات إستراتيجية استعمارية لذا سعي هؤلاء الضباط لإقامة علاقات تجارية مع بعض المدن الجنوبية مثل مدينتي بسكرة وتقرت كما عملت تلك المكاتب على إنجاز المشروع الاستعماري الهادف إلى إقامة الشبكة من الطرق الاستراتيجية التجارية وغيرها لتنشيط التجارة الداخلية والخارجية.[3]

شرعت السلطات الفرنسية بالسماح للقوافل التجارية بزيارة المنطقة وكانت أولى هذه القوافل هي قافلة 13 جويلية 1844م التي انطلقت من بسكرة نحو الجنوب وفي سنة 1844م سمح لقافلة غارسان بزيارة بسكرة كما قام البرلمان الفرنسي سنة 1844م باصدار قانون يقضي

[1] المرجع نفسه، ص 174.

[2] صالح فركوس، **تاريخ الجزائرمن ماقبل التاريخ إلى غاية الإستقلال**، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة- الجزائر، 2005، ص 360.

[3] مباركة زبيدي، المرجع السابق، ص 53.

بتوسيع نفوذ الاحتلال ومده إلى الجنوب، وذلك عن طريق إنشاء مراكز عسكرية في المدن التي تعتبر مناطق هامة وإستراتيجية في المبادلات التجارية مثل بسكرة كما تجدر الإشارة إلى غزو السلع الاوروبية الاسواق الجزائرية أدى إلى ضعف التبادل التجاري بين المناطق الشمال والجنوب وبلدان وسط الصحراء كما أن بعض المنتوجات أصبحت غير رائجة، فبعد أن كان التمر المنتوج الأساسي للتسويق في المنطقة أصبح لا يجد له مشتري[1] .

[1] شلبي شهرزاد، **الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية**، دورية كان التاريخية، س 04، ع 11،مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، مصر، 2008، ص 10.

رابعا: السياسة الاستعمارية الإقتصادية الفرنسية في الزيبان

1-سياسة الاستيطان:

سياسة سلب الأراضي في منطقة الزيبان من السياسات الإقتصادية التي إستعملتها السلطة الإستعمارية في المنطقة فتقوم على نزع الأراضي من السكان الأصليين وتوزيعها على المعمرين الفرنسيين وهدف هذه السياسة هو السيطرة على الأراضي والثروات التي تملكها المنطقة وتدمير الاقتصاد المحلي.

سعت فرنسا لتجسيد سياستها في منطقة الزيبان من خلال إصدار قوانين عقارية التي كانت تحمل شعار طرد السكان الأصليين والإستحواذ على أراضيهم حيث شهدت المنطقةإستيطانا أوروبيا بطيئا في السنوات الأولى من الإحتلال الفرنسي ففي عام 1848م كانت أول دفعة للمستوطنين الأوروبيون الذين تم إيوائهم في حصن سان جيرمان وفي عام 1850م شهدت المنطقة قدوم الفوج الثاني الذي كان على رأسهم الكولونيل "بيار ديفورغ"(Pierre Devorgue) والذي ضم جاماعات يهودية منهم "سكوتو أبراهام" (Scotto Abraham)"[1].

حرصت الإدارة الفرنسية على نزع ممتلكات السكان العقارية من خلال مجموعة من القوانين ففي سنة 1844م قام الدوق الدومال بمنح مايقارب 156 ألف هكتار للقايد بن قانة كتقديرا له على دورهفي إحتلال بسكرة وتقدر النسبة 156.48.74 هكتار وهي تمثل الأراضي التي كانت مملوكة للخليفة الأمير عبد القادر السابق[2].

[1] Abdelhamid zerdoum, , op, cit. p 12.

[2] أحمد حسين سليماني، **نزع الملكية العقارية للجزائريين 1830- 1871**، ع 06، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954، الجزائر،2002، ص 122.

ونقدم مجموعة من القرارات والقوانين صدرت في حق مصادرة أراضي وأملاك الجزائريين الذين قاوموا العدو الفرنسي بأي نوع كان ومن هذه القرارات أمر 31 أكتوبر 1845م الذي ينص على مصادرة الأراضي البور أي المهملة والمتروكة بالإضافة إلى قرار 18 أفريل 1846م الخاص بمصادرة أراضي الأعراش المهاجرة[1].

عمد الاستعمار على خوصصة الأراضي الجماعية (العرش، الحبوس)التي كانت تستغل من قبل الجماعة من خلال مجموعة من القوانين ومنها قانون سيناتوس- كونسيلت الذي صدر في 22 أفريل 1863م وقانون وارنيه الصادر في 26 جويلية 1873م هذه القوانين مكنت المستوطنين من التصرف في هذه الأراضي.[2]

في الحقيقة هي أن اقتصاد سكان الزيبان كان يرتكز على الإنتاج الفلاحي وعليه فإن الأرض كانت دوما مورد رزق لسكان المنطقة لذلك فان مصادرة الأراضي الخصبة بالمنطقة شكل ازمة حقيقية تسببت في بؤس وإفلاس قاطني المنطقة لأن معظمهمقام ببيع أملاكه وأغنامه وحتى الإقتراض لأن الأرض تحتل مكانة مقدسة عند أهالي المنطقة.[3]

وخلاصة القول أن الحكومة الفرنسية لم تترك لأهالي منطقة الزيبان أي مورد رزق فقد إستولت على الأراضي الفلاحية مع السماح للمعمر بإقامة مؤسسات احتكارية والسيطرة على طرق المواصلات فحرصت فرنسا على استصلاح الطرق لتسهيل التواصل بالإدارة الاستعمارية فوجد سكان المنطقة أنفسهم في مقاومة سياسة الإفقار التي عملت الإدارة الاستعمارية على

---

[1] علي تابليت، **مصادرة أملاك أهل الزعاطشة وأولاد ضاعن بنواحي قالمة 1852- 1853**، مجلة الثقافة، ع 118، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، الجزائر،1982، ص 33.

[2] مريم بوراية، **النظام القانوني للأراضي الفلاحية في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر** ، مجلة معالم الدراسات القانونية والسياسية ، ع 04، المركز الجامعي تيندوف- الجزائر، جوان 2018، ص 353.

[3] شهرزاد شلبي، **ثورة واحة العامري وعلاقاتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص 114.

تطبيقها منذ 1830م على الجزائر والتي نتج عنها تخريب البلاد من النواحي الإقتصادية والإجتماعية والثقافية[1].

2-التركيز على الزراعة الصناعية:

كان النشاط الفلاحي في منطقة الزيبان يرتكز على النخيل وإنتاج التمور والحبوب وعند دخول المستعمر الفرنسي قام بمجموعة من السياسات الإقتصادية في مجال الفلاحة ومن بين هذه السياسات التركيز على الزراعة الصناعية إدخال تجربة القطن إلى منطقة طولقة من طرف المعمر "بوشار" على شكل امتياز في أراضي منطقة جلادة جنوب طولقة بمساحة 200 هكتار بتاريخ 2 نوفمبر 1920م كما حصل على امتياز آخر بالمعطوفة شمال طولقة بمساحة 300 هكتار بتاريخ 17 فيفري 1921م وقطعة أرض أخرى في نفس المكان بمساحة 195 هكتار بتاريخ 14 أفريل 1922م وتم تدعيم مستثمراته بالمعطوفة بأربعة آبار تستغل في سقي المحاصيل والمواشي بالإضافة إلى زراعة القطن استغلت منطقة المعطوفة في زراعة الحبوب كالقمح والشعير بمساحة 65 هكتار والشمندر بمساحة 15 هكتار إلا أنزراعة القطن صادفت عدة مشاكل في منطقة المعطوفة من بينها الرياح بالسيركو جنوبا بالاضافة إلى ملوحة الأراضي كما أن المعمر وجد صعوبة كبيرة في إقناع السكان بزراعة القطن لإعتمادهم على الزراعة المعاشية رغم أنه أنشأ مؤسسة صغيرة للنسيج من أجل إستغلال القطن.[2]

صدر مرسوم امبراطوري مؤرخ في 16 أكتوبر 1853م يهدف الى تشجيع زراعة القطن بالقطر الجزائري عن طريق اشراك العنصر الأهلي أي إستخدام اليد العاملة الاهلية لصالح الأوروبيون وتلك هي طموحات السلطة الإستعمارية الهادفة إلى إحداث إنقلاب شامل وتغيير كلي في الفلاحة التقليدية الجزائرية نحو الزراعة الصناعية تستجيب للمصالح الإستعمارية وكان

[1] مباركة زبيدي، المرجع السابق، ص 79.

[2] بوخليفي قويدر جهينة، **تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفظة '' الزيبان ''**، المرجع السابق، ص 200.

كذلك الإهتمام منصبا نحو تحويل زراعة الحنة بسكرة في زريبة الواد والفيض وكذلك زراعة الدخان بكامل القطر وتم أيضا زراعة العنب من طرف المكاتب العربية غير أن هذه الزراعة لم تعرف تطورا كبيرا إلا بعد عام 1870م[1] وفي سنة 1919م قام الملازم "بيكولوس" بإجراء تجارب لزراعة القطن في المنطقة بالإضافة إلى تجربة شركة بسكرة وواد ريغ بين سنتي 1896 و 1909م كما تم زراعة الخروع في منطقة الزيبان الذي أعطى نتائج جيدة لذا توجب على الإدارة الإستعمارية دعمها بكل الوسائل الممكنة.

إهتمت السلطات الاستعمارية بنبات الحلفاء الذي ينتشر على مساحات شاسعة بشمال إقليم الجنوب وبعد إحتلال هذه المناطق قامت السلطات الاستعمارية بمصادرة جميع المساحات الغنية بالحلفاء بموجب القرار الصادر 1875م الذي أخضع مناطق الحلفاء إلى إدارة مصلحة المياه والغابات [2] كما حاولت الإدارةالاستعمارية تحويل الجزائر إلى مزرعة إستوائية لتساير حركتها الاقتصادية وقد نجحت في ذلك نوعا ما حيث عرفت زراعة القطن في مدينة بسكرة نجاحات معتبرا في البداية إلا أن المستثمرين توقفوا عن زراعتها لأسباب اقتصادية متوجهين نحو زراعة التبغ الذي عرف بعائدته المالية المعتبرة وإلى نبتة الحناء التي كانت تزرع في جميع الحدائق وتصدر إلى أوروبا عامة وإلى النساجين في منطقة ليون بصفة خاصة حيث يستخدمونها في صناعة الحرير الأسود والعديد من المنسوجات الاخرى[3].

[1] حورية طبعة، ، المرجع السابق، ص 74.

[2] جمال بن مسعود، ، المرجع السابق، ص 104.

[3] ليلى سعداوي، المرجع السابق، ص ص 191- 192.

3-شق الطرق ومد السكك الحديدية:

بعدما سيطرت فرنسا على منطقة الزيبان حاولت الربط بينها وبين المناطق الأخرى المستعمرة من خلال مجموعة من المشاريع للنقل والمواصلات من بينها مشروع شق الطرق وسكة الحديد خدمة لأطماعها الإقتصادية

قامت فرنسا بتثبيت مشروع السكة الحديدية لتعزيز الاقتصاد الفرنسي والعمل على إزدهاره خاصة في قطاع الخدمات من خلال ما تتميز به الصحراء الجزائرية من ثروات، مشروع السكة الحديدية سيحد من نشاط القوافل التجارية المغربية والطرابلسية وحتى المالية العابرة للصحراء كما تقوم القوات الفرنسية برصد هذه القوافل وعرقلة نشاطها[1].

عملت فرنسا من خلال إنجاز مشروع السكة الحديدية لتحقيق مجموعة من الأهداف وهي تسهيل تنقل قواتها العسكرية وتأمين استقرارهم في المراكز العسكرية وربط مستعمراتها المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط وخدمة لتجارتها فتح الاسواق الفرنسية أما عن الهدف الأساسي لهذا المشروع وهو القضاء على المقاومة في الجنوب [2]، كما كانت هناك بعثة بقيادة "تشوزي" حيث قام أحد أعضاء البعثة وهو المهندس "جورج رولان" (George Roland) بدراسة جيولوجية شاملة لمنطقة واد ريغ، النتائج التي توصلت إليها البعثة أظهرت ضرورة إختيار الخط الرابط بين بسكرة وورقلة لفائدته التجارية[3].

توالت وتراكمت الإقتراحات التي تهدف جميعها في طريقة ربط السواحل ببلاد السودان ليتمإنجاز المشاريع كلها في النصف الأول من القرن الحالي ووضع حجر الأساس لثلاثة خطوط حديدية إلى جنوب الجزائر وأعماق الصحراء كلها فرعية من الخط العرضي الدولي

[1] أحميدة عمراوي وآخرون، ،المرجع السابق، ص ص 78- 79

[2] يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، ط 02، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 91.

[3] أحميدة عمراوي، المرجع نفسه، ص 80.

الرئيسي الذي يمر عبر شمال إفريقيا من مدينة تونس شرقا الى الدار البيضاء غربا على سواحل المحيط الأطلسي ومن هذه الخطوط الخط الأول الذي يمتد من مدينة قسنطينة الى ورقلة عبر بسكرة وتقرت [1]، وفقا "لبونيفيون" فالطول المتوقع الخط الحديدي العابر للصحراء هو 4800 كلم مقسم على ستة مقاطع من 400 كلم فيما مدة الإنجاز فهي ستة سنوات تجدر الإشارة إلى أن تعداد القوة البشرية والحيوانية لإستغلال خط بسكرة[2] إلى أغاديس يتطلب :

-153 ضابط و3435 رجل من ضمنهم 144 أهليا.

-770 حيوانا موزعين إلى: 600 جمل و 170 حصانا.[3]

ومن أجل توسيع النشاط التجاري أكثر قامت السلطات الفرنسية بمد خطوط السكة الحديدية إبتداءا من سنة 1893م لإنشاء الخط الرابط بين بسكرة وورقلة القائم على خدمة المصالح الفرنسية بقوة ودعم المصالح العليا للمدينة.[4]

قامت السلطة الإستعمارية بترميم الجسر الروماني في القنطرة وأنشأت نفق بطول 40 ذراعا في إطار مشروع السكة الحديدية [5] الرابط بين الشمال والصحراء سنة 1946م[6] بالإضافة إلى ذلك تم منح ستة خطوط جديدة يبلغ مجموع طولها 622 كلم للأغراض مختلفة في عام 1882 و 1884م ومن هذه الخطوط خط باتنة بسكرة 115 كلم وفقا لقانون 21 جويلية 1884م ولقد كانت المواصلات البرية تحديدا حتى نهاية الحرب الكونية الثانية تمتد عبر ثلاثة محاور في الشمال وحتى أبواب الصحراء فنجد في الشرق طريق قسنطينة بسكرة المعبد الذي

---

[1] يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين 19و20**، المرجع السابق، ص 327.

[2] **ينظر للملحق رقم 12**.

[3] عثمان زقب، **السياسة الفرنسية في الجزائر 1830- 1914**، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة- الجزائر، ص ص 402- 403.

[4] ليلى سعداوي ، المرجع السابق، ص 193.

[5] **ينظر للملحق رقم 13**.

[6] القنطرة أيقونة الواحات ومقصد الزوار، معلومات متاحة على الرابط : https://elmaouid.dz، تاريخ الوصول 2025/03/28.

أتم في أواخر الحرب العالمية الأخيرة ليصل إلى ورقلة عبر تقرت ولكي يتم تحقيق الربح والحركة الإقتصادية كان لزاما الإهتمام بقطاع النقل لضمان سهولة وسرعة وصول المنتجات إلى الأسواق عبر الطرق والسكك الحديدية لذا كان الإهتمام بإنشاء السكك لزيادة المنافع من المناطق الغنية بالثروات.[1]

[1] حورية طبعة، ، المرجع السابق، ص 126.

خلاصة الفصل:

شهدت الحياة الاقتصادية لمنطقة الزيبان خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية تحولات اقتصادية جذرية نتيجة السياسات التي وضعتها السلطات الفرنسية لنهب ثروات المنطقة، كما كان الاعتماد الرئيسي كان على الزراعة خاصة زراعة النخيل وتصدير التمور حيث استولت السلطات على الأراضي الخصبة وفرضت إنتاجا موجها للخارج، رغم وجود نشاطات أخرى كتربية المواشي والحرف التقليدية والتجارة إلا أن هذه الأنشطة كانت مهمشة لصالح مشاريع المستعمرين، بالإضافة إلى أن سياسة فرنسا تركزت على استغلال الموارد وتهميش السكان المحليين وحرمانهم من أراضيهم كما تم إنشاء بنية تحتية محدودة هدفها تسهيل نهب الثروات. هذه السياسات أدت إلى تفقير الفلاحين وزيادة الفوارق الاجتماعية وتدهور الاقتصاد المحلي وخلفت تأثيرات سلبية طويلة المدى على المنطقة.

الفصل الثالث:

إنعكاسات الواقع الاقتصادي على المجتمع الزابي خلال الفترة الاستعمارية.

أولا: الضرائب وتداعياتها.

ثانيا: تدني المستوى المعيشي.

ثالثا: الهجرة

شكلت منطقة الزيبان خلال الفترة الاستعمارية مسرحا لتحولات اقتصادية واجتماعية عميقة، اذ كانت السياسات الاستعمارية تهدف إلى استنزاف خيرات المنطقة وإخضاع السكان المحليين لمتطلبات الإدارة الاستعمارية ومن أبرز مظاهر هذه الانعكاسات هي فرض الضرائب وإثقال كاهل سكان المنطقة بها ودفعتهم إلى مواجهة صعوبات معيشية يالإضافة إلى تدهرالحالة الاجتماعية حيث تفشت البطالة والفقر والأمراض ومن الإنعماسات التي سنتطرق إليها في هذا الفصل هي الهجرة التي شكلت الخيار الوحيد للسكان هروبا من القمع والفقر فهذا الفصل يهدف إلى تسليط الضوء على الانعكاسات التي عصفت بالمجتمع الزابي.

أولا: الضرائب وتداعياتها

1-الضرائب الإسلامية:

أصدر مرسوم 24 اكتوبر 1870م الذي نص على زيادة الضرائب المفروضة على السكان الأصليين في الجزائر وكان الهدف من ذلك هو تمويل المستوطنين وتغطية نفقات الادارة الإستعمارية حيث ارتفعت الضرائب بشكل كبير مقارنة بعهد المكاتب العربية حيث فرضت على السكان ضرائب مختلفة مثل العشور والزكاة والحكور والزوم للقبائل الكبيرة وعن النخيل وعن الحرائق بعض هذه الضرائب كانت ذات طابع عام وتطبق وفقا للقواعد في جميع أنحاء الإقليم بينما كانت أخرى خاصة بمناطق معينة[1].

فللنظام الضريبي الفرنسي هو وريث للنظام العثماني الذي كان يعتمد على استخلاص الضرائب بشكل عيني والمتمثلة في كمية من الحبوب مع مراعات لأهمية وجودة الأرض حيث أن الضرائب في عهد أحمد باي كانت تدفع نقدا وعينا وتقدر بقيمة صاع من الشعير وصاع من القمح وتتمثل الضرائب الإسلامية في تلك الفترة الحكور والمقصود بها كراء أرض العزلأما العشورفهي ضريبة الحبوب أما بالنسبة لضريبة الزكاة فهي ضريبة الأنعام وفي الأخير ضريبة اللزمة وهي ضريبة تدفعها القبائل الصحراوية والغيت في 18 جوان 1858م، كانت تتم جبايتها في العهد العثماني بواسطة المحلة التي يقودها فرسان المخزن وقد كانت الكثير من القبائل تتهرب من دفعها فأصبحت سببا في إعلان الحرب ضد النظام العثماني أو الهجرة إلى المناطق النائية والجبلية لكن الإحتلال الفرنسي قامت فرنسا بمجموعة من التعديلات أهمها مصادرة أراضي الأوقاف عام 1830م ميلادي حيث كانت هذه الأراضي تكرى للفلاح مقابل تقديمه لضرائب عينية أو نقدية والتي تسلم للجباة في آخر السنة والمقدرة ب 12 صاعا من القمح

[1] حورية طبعة، ، المرجع السابق، ص ص 154- 155.

و12 صاعا من الشعير أما الخسائر التي تتعرض لها المزروعات تكون على حسابه وحده لأن الإدارة الفرنسية تتهمه بالإهمال[1].

إن سبب تمسك الإدارة الفرنسية بالضرائب الإسلامية يعود للأهمية البالغة حيث أكد المندوب "جاروه" في تقرير له أمام مندوبية المعمرين يوم 13 نوفمبر 1844م الضرائب الإسلامية تعد مصدرا أساسيا للدخل حيث تشكل ما بين 17 إلى 18 مليون فرنك من إجمالي داخل البالغ 542 مليون فرنك وهذا يشير إلى الأهمية الكبيرة التي توليها الإدارة الفرنسية لهذه الضرائب كجزء من مواردها المالية[2].

منذ عام 1845 بدات الضرائب التي فرضتها الإدارة الإستعمارية على منطقة الزيبان تحدث عواقب وخيمة حيث أدى الدفع النقدي إلى إجبار الفلاحين على بيع جزء من محصولهم بأسعار منخفضة مما يجعلهم يخسرون جزءا من انتاجهم عند الحصاد كانت ضريبة العشور تحسب سابقا بناءا على المحصول أما الآن فتحسب بناءا على المنطقة والسنوات بإستثناء الخماسة هذا التغيير أثر سلبا على الفلاحين وزاد من معاناتهم المالية [3]. بدأ تطبيق السياسة الضريبية في منطقة الجنوب القسنطيني سنة 1844م بعد إحتلال منطقة الزيبان سنة 1844م حيث أجبرت السكان على دفع كميات من الحبوب لقد بلغت قيمة ضريبة العشور 4404 فرنك أما الإدارة الفرنسية فكانت تصدر قرارات عشوائية لا تراعي حالة السكان ولا وضعيتهم القاسية لأن الضرائب المفروضة عليهم كانت تفوق إمكانيتهم المادية.[4]

---

[1] شهرزاد شلبي، **ثورة واحة العامري وعلاقاتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر**، المرجع السابق، ص 121.

[2] صالح عباد، **المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر (1871- 1900)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 119.

[3] الجيلالي صاري، **الكارثة الديمغرافية (1867- 1868)**، تر: عمر المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008، ص 290.

[4] شهرزاد شلبي، **ثورة واحة العامري وعلاقاتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر** ، المرجع السابق، ص ص 122-123.

وحسب أصبح صياد ضباط المكتب العربي بدائرة بسكرة وصل عدد النخيل الى 36000 نخلة في عهد الأتراك وبلغت أثناء الإحتلال الفرنسي سنة 1844م ما بين 70000 الى 80000 نخلة وبلغت قيمة الضريبة المفروضة عند إحتلال بسكرة حسب الضباط المكتب العربي 19.600 فرنك[1].ومن هذه الضرائب المفروضة على القبائل بواحد الزيبان كان بوعزيز بن قانة يستلم من البدو الرحل التابعين لهم من قيمة 18000فرنك سنة 1848م و يعود اغلبها إلى ماله الخاص[2].

3-الضرائب الفرنسية:

هي مبلغ من المال يدفعه المواطنون للحكومة مقابل الخدمات التي تقدمها، هناك أنواع مختلفة من الضرائب مثل الضرائب المقررة وفق القوانين والضرائب المفروضة في البلدان المحتلة يرى بول فيالات" أن البلد المحتل لا يستطيع الشكوى من الضرائب المفروضة عليه لأنه حافظ على مؤسساته القديمة في محاولة لتنظيمها ويجب عليه دفع الضرائب دون تهرب وتحرير دافعي من جشع الجباة، وتنقسم الى ضرائب مباشرة وغير مباشرة المباشرة تتمثل في فئتين هما الأولى ضرائب التوزيع وهي تلك التي يعرف مقدارها مقدما والتي يختلف اسهام كل منها وفقا لعدد الخاضعين للضريبة أما الفئة الثانية فهي الضرائب المفروضة على الحصص فهي تلك يختلف تحصيلها وفقا لإزدهار البلديات أما الضرائب الغير مباشرة فهي تفرض على بعض المواد والنشاطات والخدمات كالرسم على القيمة المضافة (T.V.A) وحقوق الطوابع

[1] صالح فركوس، **إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر**، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 278.

[2] أسماء شمول وفريدة شرفة، **دور بوعزيز بن قانة في دعم الاحتلال الفرنسي في إقليم الزيبان من خلال المكتب العربي 1844- 1864**، المجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 8، ع2، الجزائر، 2023، ص 199.

والتسجيلات والرخص المختلفة وحقوق الصيد وغيرها اما الكولون فقد أعفوا من ضريبة الدخل وضريبة الشركات[1].

إن الضرائب الخاصة بالقانون الفرنسي أو الضرائب الاوروبية والتي حددها مرسوم 28 أكتوبر 1847م تدفع من قبل الفرنسيين والأجانب وأهمها ضريبة المساكن وكان مختصر على البلديات ومتمثلة في قيمه الكراء لا تتعدى 10 قيمة السكن وضريبة الخدمات، ضريبة المناجم بغرفة التجارة وضريبة عائدات قنوات الري[2].

إن السياسة الفرنسية ساهمت بشكل كبير في إصابة المنطقة بمجاعات قاسية أهمها مجاعة 1867م والتي كانت نتيجة للجفاف الذي حل بالمنطقة حيث أصبح الفلاح لا يستطيع أن ينتج ما يضمن له قوت يومه فبمرور الوقت تضاعفت مأساة الفلاحين هذا ما اضطرهم إلى الهجرة لمناطق تتوفر على بعض الينابيع، نفس الشيء يمكن ملاحظته في واحة العمري حيث عملت الإدارة الفرنسية إلى سياسة الضريبة التي أكلت مهمة استخلاصها إلى القائد بولخراص الذي مارس بهذه السلطة كل صور السلب والنهب والإستنزاف[3].

كان رؤساء الأهالي الكبار مثل شيخ العرب مسؤولين عن جمع الضرائب في مناطقهم ومع ذلك كانت هناك تحديات في جباية الضرائب بسبب تنازع مع الخلفاء الأمير عبد القادر في عام 1896م، تم تقليص امتيازات شيخ العرب بشكل كبير حيث كان يتقاضى في السابق

[1] حورية طبعة، ، المرجع السابق، ص 162.

[2] أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956، ص 284.

[3] شهرزاد شلبي، **ثورة واحة العامري وعلاقاتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر** ، المرجع السابق، ص ص 123-124.

نسبة من الضريبة ولكن بعد التمرد أصبح يتقاضى نسبة اقل حيث اقتصرت على 10/4 من الضريبة أما البقية إنتقلت إلى رؤساء الأهالي[1].

اعتمدت السلطات الفرنسية في الصحراء الشرقية على سياسة الإفقار كأداة للسيطرة، وشملت هذه السياسة فرض مجموعة من القوانين الاقتصادية التي أثقلت كاهل السكان بالضرائب. ومن أبرز الأمثلة على ذلك المرسوم الصادر في 17 جانفي 1845، والذي حدد مجموعة من الضرائب التي أثقلت كاهل السكان المحليين[2].

طبقت الإدارة الاستعمارية الفرنسية سياسة التفرقة بين الأهالي والأوروبيين في الجزائر حيث كان الأوروبيون الأغنياء يدفعون ضرائب أقل مقارنة بالأهالي الفقراء أستمر هذا الوضع حتى عام 1919م. بالإضافة إلى الضريبة العربية أجبر الأهالي إلى دفع ضرائب أخرى غير مباشرة ففي عام 1870م دفع الأهالي 4 ملايين فرنك وفي الفترة ما بين 1858 و 1890م كانوا يدفعون سنويا 4 ملايين و 8 ألاف فرنك وفي عام 1918م ارتفع المبلغ إلى 45 مليون فرنك ضرائب واتضح في مطلع القرن العشرين أن الجزائريين كانوا يدفعون 46% من الضرائب المباشرة ورغم أنهم لا يملكون سوى 37% ثروات البلاد[3].

كانت الإدارة المالية تتولى مسؤولية تحصيل الضرائب والايرادات الحكومية وتوفير الأموال اللازمة للخدمات الأخرى وتتقاسم السلطات المالية مجموعة من الضرائب وهي التسجيلات والعائدات والمساهمات والجمارك، كما أن ضرائب المحتل كانت دائما في غير صالح السكان أما أهم الآثار الضريبية على الجزائريين تمثلت في نشوب ثورة 1871م ومن أهم

[1] صالح فركوس، المرجع نفسه، ص 345.

[2] أحميدة عمراوي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 56- 57.

[3] يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 42.

أسباب الثورات الضرائب الكبيرة فإقترحت حكومة " شانزي " سنة 1873م مشروع إدخال الضرائب العقارية إلى الجزائر بحيث يخضع لها الأوروبيون و السكان في نفس الوقت[1].

ثانيا: تدهورالحالة الاجتماعية

1-إنتشار الفقر والبطالة:

شهدت الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي أوضاع اجتماعية متدهورة نتيجة لسياسة الإستعمارية الإقتصادية المتبنات والقائمة على إخضاع الجزائريين بالقوة، الأمر الذي جعلهم يعيشون أوضاع متأزمة حيث أصبح مالك الأرض خماسا لدى المستوطنين والشركات الاستثمارية وأمام هذا الوضع ارتفعت نسبة البطالة وانخفض المستوى المعيشي وأصبح الفقر شبحا يهدد الجزائريين بعد انتزاع ملكيتهم[2].

من نتائج هذه السياسة الإستعمارية الإقتصادية أن أصبح الجزائريين يعانون الفقر والجوع بعدما فقدوا المصادر التي كان يقتاتون منها فالاحصائيات الرسمية تشير إلى أن الجزائريين خلال هذه الأزمة فقدوا نصف ماشيتهم أي حوالي 13 مليون رأس غنم عام 1867م و 8 ملايين رأس عام 1870م بينما لم تتأثر ماشية الاوروبيين فقد كان الاوروبيين أقل الذين تعرضوا لنتائج هذا القحط لأنهم كانوا يملكون أحسن الأراضي وأكثرها ماء بخلاف الفلاحين الجزائريين الذين كانت السلطات الفرنسية قد احتجزت أراضيهم[3]..

[1] حورية طبعة، ، المرجع السابق، ص ص 164- 165.

[2] صالح حيمر، **السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر 1830- 1930**، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة- الجزائر، 2014/2013، ص 264.

[3] بوعزة بوضرساية وآخرون، **الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19م**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 190.

في ظل الظروف الصعبة التي شهدتها الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية عانى الجزائريون من نقص حاد في المواد الغذائية والسلع الأساسية ووفقا لتقرير رئيس المنطقة الاقتصادية في الجزائر "مورار" الصادر في عام 1945م كانت كمية الخبز المخصصة للفرد في اليوم لا تتجاوز 250 غرام وكانت نوعيته رديئة كما كانت كمية السكر الموجهة للإستهلاك الشهري 250 غ للفرد أما اللحوم فكانت امداداتها غير منتظمة وغالبا ما كانت غير متوفرة لعدة أسابيع بالإضافة إلى ذلك كان هناك نقص في المواد الغذائية الأخرى مثل الأسماك، الزبدة، الزيت والبطاطا حتى الفواكه مثل البرتقال كانت نادرة وكانت التمور مخصصة للتصدير بكميات قليلة جدا أما فيما يتعلق بالسلع الغير غذائية كان القماش والأحذية نادرين بإستثناء تلك المصنوعة بطرق تقليدية أو المستوردة من المغرب.

ان التجارة فهي شبه منعدمة والمطاعم قليلة والمنشآت متداعية حتى الكؤوس لم تكن متوفرة في المطاعم فكان يستعمل نصف قارورة مقطوعة، هذا الوضع الإقتصادي المتدهور يعكس السياسات الإستعمارية التي تبعتها فرنسا في الجزائر والتي أدت إلى تهميش الجزائريين واقتصادهم المعاشي الهش في المقابل كان المستوطنين ذوي إقتصاد رأسمالي متطور بعد إندلاع الثورة التحريرية حيث واجهت الإدارة الاستعمارية تحديات كبيرة في محاولة لربط الاقتصاديين المعاشي الهش للجزائريين والرأسمالي للمستوطنين، من بين الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية لتجاوز هذه التحديات كان تقسيم القروض حسب المناطق الجغرافية لتحقيق نوع من التوازن المالي والإعلان عن مشاريع إقتصادية مثل مشروع قسنطينة سنة 1850م[1].

[1] ليلى سعداوي، المرجع السابق، ص ص 195- 196.

لتحقيق المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر حاولت الإدارة الاستعمارية إحكام قبضتها وفرض سيطرتها المطلقة على المنطقة وهذا من خلال السيطرة على كل منابع الاقتصاد بداية بالسيطرة على الأراضي الزراعية بالإضافة إلى احتكار الصناعة أما البقية من هذا النشاط فهو تقليدي لا يسد حتى النفقات المواد الأولية سواء الداخلية منها أو الخارجية فقد كانت في يد الفرنسيين وهذا في ظل السيطرة كذلك على رأس المال في تلك المنطقة[1].

كان مستوى المعيشي لأهل منطقة الزيبان متدهورا جدا مما أدى إلى تردي الحالة الاجتماعية، إضافة إلى الوضعية السيئة لسكن التي كانت تتراكم به الاوساخ والقاذورات زيادة على إنتشار الأمية والجهل وسط فئات الشعب، كان سكان المنطقة يعيشون بؤسا وانخفاظا في مستوى المعيشة وضيق الاكواخ وتكدس السكان فيها اضافة الى الفقر والجوع والبطالة مع انعدام الثقافة الصحية حيث يرى الفرنسيون أن الجزائريين بصفة عامة يعانون من نقص كبير في المستوى العام للمعيشة فهم يسكنون في ظروف جد سيئة وثيابهم رديئة المستوى هذا بالإضافة إلى ضعف عملية التغذية ويقول البروفيسور الفرنسي سولي (souli) في هذا الصدد أن السكن واللباس والتغذية مستواهم متدهور إلى درجة كبيرة وكأنما نعيش فترة ما قبل تاريخ كذلك هم قليلي الاعتناء بالجسد لأنهم بعيدون عن ما ينص عليه القرآن الكريم فهم لا يغتسلون إلا في حالات نادرة إضافة إلى أنهم ينامون بكامل ثيابهم الشيء الأمر الذي يجعلهم يعانون من المرض فالنظام الاستعماري المتسلط أنهك الجنوب الشرقي للجزائر ومن بينه منطقة الزيبان وجعله وطنا للجوع والفقر والبطالة[2].

[1] إسماعيل العربي، **الفقر والبؤس الأهلي في سياسة الاستعمار الفرنسي فيما بين الحربيين (1919- 1939) ووتأثيرهما على الحياة الاجتماعية في أقطار المغرب**، ص 35.

[2] مباركة زبيدي، ، المرجع السابق، ص 100.

3-الأمراض والأوبئة:

عرفت منطقة الزيبان خلال فترة الاحتلال الفرنسي انتشارًا واسعًا للأمراض، مما أدى إلى وفاة عدد كبير من السكان. تتفاوت حدة انتشار الأمراض والأوبئة باختلاف الفترات، وكان ذلك يعتمد على عوامل مثل انتشار العدوى، التلقيح والوقاية، ظروف الحرب، والمستوى المعيشي السيئ وسط الاستعمار، مما جعل سكانها يعيشون في فقر وذل وجعلهم عرضة للإصابة بمختلف أنواع الأمراض والأوبئة [1]. كانت الأمراض في المنطقة متفشية بكثرة في الأوساط الشعبية لغياب العناية الصحية، إن الأمراض العادية المزمنة لم تكن كلها معروفة لدى السكان لدرجة أنه لم يكن لبعضها أسماء، فكان الناس يمرضون ويموتون بداء السكري أو قصور الكلى والكبد وأمراض الشرايين والقلب دون أن يعرفوا لأمراضهم أسماء ولا لوفياتهم أسباب. وكانت الأمراض المعروفة فقط هي تلك التي لها أعراض ظاهرة[2].

أ -**أمراض الرئة:** مع توافر العديد من العوامل كتغير درجة الحرارة المفاجئ والبؤس والفقر وسوء التغذية والرطوبة، إضافة إلى قلة النظافة، ظهرت العديد من أمراض الرئة الخطيرة كالسل والسعال الديكي والدفتيريا[3].

ب **الأمراض الجلدية:** كان الفرد الجزائري يعيش ظروفًا اجتماعية ومعيشية صعبة خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث كان يعاني من ناحية المسكن والملبس والطعام وقلة النظافة، مما أدى إلى انتشار الأمراض الجلدية بشكل كبير. وكانت هذه الأمراض خطيرة وصعبة العلاج،

---

[1] المرجع نفسه، ص101.

[2] محمد العربي حرز الله، **الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاستعمار**، المرجع السابق، ص 293.

[3] صليحة علامة، **الأوضاع الصحية في الجزائرإبان الاحتلال الفرنسي 1830- 1962عمالة الجزائر نموذجا دراسة تاريخية** ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر، 2017/2015، ص 194.

وانتشرت بشكل واسع إذ لم يتم الإبلاغ عنها للهيئات الطبية الفرنسية المسؤولة عن مراقبة الأمراض وتقديم العلاج. ومن بين الأمراض التي انتشرت في منطقة الزيبان نجد البرص والقرع والزهري[1].

ج -**أمراض العيون:** انتشرت أمراض العيون في الجزائر خلال فترة الاستعمار بشكل واضح، وذلك لاختلاف أنواعها وكثرة المصابين بها. اختلفت أمراض العيون وتفاوتت درجة حدتها، ومن أهم أمراض العيون التي عرفتها منطقة الزيبان هي الرمد الحبيبي وتعفنات العين[2].

د **أمراض البطن:** تشمل أمراض الجهاز الهضمي كل الالتهابات التي تصيب بطانة المعدة والأمعاء الدقيقة والغليظة، وغالبًا ما تسببها الجراثيم الناتجة عن الأطعمة غير الصحية أو المياه الملوثة أو من خلال الاختلاط مع شخص مصاب[3].

ه -**أمراض الأمومة والطفولة:** كانت هي الأخرى مجهولة، ولم تكن الأمهات يحظين بأي عناية صحية. فكانت الولادات تتم بصفة طبيعية دون أدنى قواعد الحماية الصحية، وكان الإجهاض والموت بالنفاس من الأمور اليومية والعادية. أما أمراض الطفولة فكانت متفشية بشكل خطير وعلى نطاق واسع. ولا أبالغ عندما أقول إن 70 إلى 80% من الأطفال كانوا يموتون بالحصبة والإسهال، ناهيك عن الأمراض الأخرى كأمراض التنفس، لأن الطفل لم يكن

[1] يمينة مجاهد، **تاريخ الطب البديل في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830- 1962**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران- الجزائر، 2018/2017، ص 241.

[2] مباركة زبيدي، المرجع السابق، ص 143.

[3] مباركة زبيدي المرجع السابق، ص 151.

يتلقى أي علاج ولا لقاح. باختصار، الأمراض المنتشرة في المنطقة تنقسم إلى قسمين: أمراض معروفة وليس للسكان حيلة، وأمراض مجهولة تفتك بأصحابها[1].

أما بالنسبة للأوبئة فعرفت المنطقة مجموعة من الأمراض الخطيرة التي فتكت بعدد كبير من السكان. ومن هذه الأوبئة نجد التيفوس، وهو وباء شديد العدوى ينقله القمل إلى الإنسان بسبب الظروف الصحية المزرية والمستوى المعيشي المتدهور [2]، وعرفت منطقة الزيبان هذا الوباء بين سنة 1941 وسنة 1943م وأدى بحياة كثير من السكان.

أما عن وباء الجدري، فهو شديد العدوى تسببه الحمى، يتجلى في شكل بقع حمراء على الجلد. في حالة عدم علاجه، يترك تشوهات في الوجه ويسبب إعاقات مثل العمى والصمم، ويؤدي أحيانًا إلى الوفاة. وقد ظهر هذا المرض في بسكرة منذ عام 1848م. ولقد انتشر المرض في المنطقة بين سنوات 1882 و1896م، فخلف حوالي 200 ضحية. وفي منتصف العشرينات، كان مرة أخرى سببًا في حالات وفاة كثيرة[3].

انتشر أيضًا الملاريا بين السكان في بسكرة، حيث سجل 4348 حالة إصابة في أواخر القرن 19. كان متفشيًا أيضًا بين الأوروبيين [4] بنسب أقل، نظرًا لاستخدامهم الدواء للقضاء على

[1] محمد العربي حرز الله، **الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاستعمار**، المرجع السابق، ص 294.

[2] صليحة علامة، المرجع السابق، ص ص 124- 125.

[3] فردوس محلي، **الأمراض والأوبئة في منطقة ريغ 1854- 1962**، تق: رضوان شافو، ط 1، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي- الجزائر، 2021، ص 70.

[4] **ينظر للملحق رقم 14**.

هذا الوباء[1]. كما شهدت سنوات 1909، 1914، 1915، 1922م ظهور الوباء من جديد، فقط أصابت حالات من أولاد جلال و بسكرة[2].

شهدت المنطقة أيضًا ظهور وباء الكوليرا، حيث انتشر هذا الوباء في عدة مدن جزائرية، بما في ذلك الصحراء الشرقية وتحديدًا مدينة بسكرة، حيث انتشر في مختلف مناطقها. كانت الأرقام تكشف عن فظاعة هذا الوباء الذي أثار رعبًا كبيرًا بين السكان. تميزت الأوبئة الكوليرية بكثافتها وانتشارها الواسع. ظهرت الكوليرا في أعوام 1849 و1850 و 1851م[3]، وفي سيدي عقبة، أدى الوباء إلى وفاة 385 شخصًا من بين 1500 ساكن. كما انتقل الوباء إلى أفراد الجيش الفرنسي الموجودين في بسكرة. عاد الوباء للظهور مجددًا في الفترة بين 1865و1871م، مخلفًا وراءه العديد من الضحايا في المدينة[4].

ظهر في المنطقة وباء حبة الشرق أو ما يسمى هذا الوباء بحب بسكرة، ويطلق عليه أيضًا مسمار بسكرة. انتشر هذا الوباء المعدي في منطقة الزيبان بسبب كثرة أشجار النخيل، وامتد إلى الجريد ووادي ريغ. وقد أرجع الدكتور رايموند سبب هذا الوباء إلى إمرأة أوروبية أقامت مدة تسعة أشهر، بدأت أعراض هذا المرض تظهر عليها، ثم انتشر هذا الوباء في المنطقة سنة 1896م[5].

---

[1] ايفون توران، **المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة** ، تر: محمد عبد الكريم أوزعلة،دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008، ص ص 318-320.

[2] M.ch.Lautaud, **expose de la situation générale des territoires du sud L'Algérie Annee 1914- 1915**, imprimerie Libraire_Diteur, Alger, 1916, p p 36- 37.

[3] ايفون تيران، المرجع السابق، ص 318.

[4] فلة المساوي القشاعي، **الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518- 1830)**، منشورات بن سنان، الجزائر، 2013، ص ص 264- 265.

[5] أحمد بن سالم، **الأوضاع الصحية للجزائريين في منطقة وادي سوف من خلال دورية معهد باستور الجزائر** ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص 73.

كما تعرضت منطقة الزيبان لوباء الطاعون وتسبب في هلاك الكثير من الناس، خاصة في كل من بسكرة وسيدي عقبة في القرن 19[1]. زيادة عن تلك الأوبئة الخطيرة، كانت هناك أمراض فيروسية وميكروبية كثيرة كانت تفتك بالسكان فتكًا ذريعًا [2]، خاصة تلك التي تصيب الأطفال الذين كانوا يتعرضون من خلالها إلى إبادة شبه جماعية بسبب غياب أدنى علاج ووقاية[3].

ثالثا: الهجرة

1-الهجرة الداخلية:

خلال فترة الاستعمار الفرنسي شهدت منطقة الزيبان مثلها مثل العديد من المناطق الأخرى في بلاد الجزائر حركات هجرة داخلية نتيجة لمجموعة من التأثرات المتعددة بما في ذلك السياسات الاستعماري التي أدت إلى تغيرات اقتصادية واجتماعية جذرية.

كانت الهجرة الجماعية من الأرياف والتي نتجت عن فقدان الفلاحين لأراضيهم بالإضافة إلى تردي الوضع الاقتصادي ومن ثم اللجوء إلى المدن بحثا عن العمل [4]. بالإضافة إلى أن هذه الهجرة كانت نتيجة حتمية للمواجهات العسكرية وأيضا نتيجة للإبادة ال تي انتهجتها القوات الاستعمارية والعقوبات والضرائب التي فرضتها الإدارة الاستعمارية على الأهالي وكانت الوجهة

[1] فلة المساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 239.

[2] **ينظر للملحق رقم 15.**

[3] محمد العربي حرز الله، **الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاستعمار**، المرجع السابق، ص 298.

[4] عبد السلام فيلالي، **الجزائر الدولة والمجتمع**، ط1، دار الوسام العربي، الجزائر، 2013، ص 131.

نحو المناطق الداخلية، كما هاجرت عائلات ومجموعات سكانية لها إمكاناتها وأرزاقها إلى مختلف مناطق الجزائر[1].

إن الهجرات الداخلية كانت طوعا في بعض الأحيان وكرها في البعض الآخر وكانت غالبية تلك الهجرات نحو الجزائر العاصمة على وجه الخصوص، حيث استوطنتها عائلات كثيرة من الزيبان وبقيت فيها وربما توفر لبعضها مالم يتوفر للبعض الآخرفيما يخص ظروف الإقامة والاستقرار بصفة نهائية لكن معظم النازحين كانوا يكتفون بمهن بسيطة كالسقاية بالماء والعمل في الموانئ والمزارع ، أما بعض الأسر غادرت المنطقة مرغمة بعد أن فقدت رضى الجماعة عنها واستوطنت أماكن في التل في شرق البلاد أو في الظهرة وهي منطقة الجلفة على وجه الخصوص[2].

هناك نوع آخر من الهجرة الذي كان في شكل تجارة قائمة بين المدن والأرياف، حيث كان سكان الريف يقومون ببيع المواد الغذائية وغيرها كالتمر والمواشي والصوف في الأسواق بالمدن الكبرى، ثم يعودون إلى قراهم متزودين بما يحتاجونه من ملابس وأحذية وأشياء أخرى غير أنه مع مرور الوقت توسع نطاق هذه التجارة، كما تجدر هناك نوع آخر من الهجرة الذي كان في شكل تجارة قائمة بين المدن والأرياف، كما تجدر الإشارة إلى نوع آخر من الهجرة الداخلية والتي تخص الطبقة المثقفة والت ي كانت تهجر نحو المدن من أجل تحسين الوضعية الاجتماعية[3].

---

[1] حورية طبعة، المرجع السابق، ص ص 174- 175.

[2] محمد العربي حرز الله، **الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاستعمار**، المرجع السابق، ص 317.

[3] أحمد بن جابوا، **المهاجرين الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830-1954)**، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، الجزائر، 2011/2010، ص 31.

سكان منطقة الزيبان ككل سكان الجنوب الشرقي قمع امتداد التوسع الاستعماري الفرنسي وبسط نفوذه في الصحراء الجزائرية واستعمال كل الطرق والوسائل من أجل السيطرة وجدوا السكان أنفسهم مخيرين بين الاستسلام أو المقاومة أو الموالاة للفرنسيين والتعاون معهم أو الخيار الأخير وهو الهجرة[1].

2-الهجرة الخارجية:

منطقة الزيبان مثلها مثل المناطق الأخرى في وطننا الجزائر شهدت ظاهرة الهجرة الخارجية لسكانها خلال فترة الاستعمار الفرنسي كانت هذه الهجرة مدفوعة بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الصعبة التي فرضها الاحتلال الفرنسي، الكثير من سكان المنطقة غادروا باحثين عن تحسين أوضاعهم المعيشية في مناطق أخرى خارج الجزائر.

ارتبطت هجرة الجزائرين ببلاد المشرق أو الشام عبر تونس، ثم إلى القاهرة، إسطنبول، دمشق، بيروت، فهذه الهجرات تتعلق بغرض التجارة أو إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج التي لم تكن تخلوا من الأغراض التجارية، أولأغراض سياسية كالبحث عن سبل لمكافحة الاستعمار[2].

من المعروف أن سكان منطقة الزيبان كان لهم ارتباط بثورة المقراني وفي أعقاب هزيمة المقراني هاجر عدد من سكان المنطقة إلى البلاد التونسية، فقد أشار تقرير فرنسي إلى أن بداية

[1] أحميدة عمراوي، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية**، المرجع نفسه، ص 149.

[2] نور الدين ثنيو، **هجرة الجزائرين إلى المشرق العربي بين السياسة والدين 1848- 1912**، أعمال الملتقى العلمي الأولسيسولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر 2008، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، قسنطينة، 2009، ص ص 97- 98.

نزوح الناس إلى البلاد التونسية لميكن بعد انطفاء شعلة ثورتهم، وإنما كان في خضم أحداثها، فلم ينتظروا نهايتها ومن ثم مغادرة الجزائروالتوجه نحو تونس[1].

هناك العديد من الأسباب التي كانت وراء هجرة سكان الزيبان والجنوب الشرقي ككل إلى الأراضي التونسية وعلى الرغم من الانعكاسات السلبية للهجرة الجزائرية على أرض الوطن إلا أنها قي المقابل كانت إيجابية في عدة جوانب أثرت على الإدارة الاستعمارية، فتنبهت السلطات الاستعمارية لحركة الهجرة فأصدرت جملة من القوانين والقرارات لتقييدها، منها القرار الصادر بتاريخ فيفري 1889م، والذي نص على: يجب إيقاف الجزائريين الذين تم القبض عليهم في وضع غير قانوني وتوجيههم إلى الحدود وعلى الأعوان المراقبين لهم أن يقدموا للسلطات الجزائرية كل المعلومات حول الموقوفين فيما يخص وضعهم المدني وسبب الترحيل ومكان إقامتهم.

كانت هناك أيضا هجرة طلابية إلى المؤسسات التعليمية التونسية فعملت السلطة الاستعمارية حيث ذكر الدكتور خير الدين شترة : أن الطلبة الجزائريين الذين يرغبون في إتمام دراستهم بتونس يحونو عرضة لإجراءات معينة من قبل سلطات الاشراف عن طريق المصالح الإدارية والمهنية، وكلفت القياد وأعوانهم بالقيام بتحقيق سري يتضمن معلومات حول كل طالب يرغب في الحصول على ترخيص السفر للتثبت من سيرته وانتمائه السياسي وولائه لفرنسا ومد إدارة الأمن بتقرير في الموضوع[2].

[1] العياشي روابحي، **هجرة بعض العائلات الجزائرية الكبرى إلى البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر** ، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج24، ع53، جوان 2018، ص 365.

[2] رضوان شافو، **انعكاسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1830- 1954**، مجلة كان التاريخية، ع34، مصر، 2016، ص 15.

ويضيف الأستاذ محمد العربي حرز الله أن هذه الظاهرة تنقسم إلى مرحلتين، مرحلة أولى وكانت في بداية الاحتلال إلى غاية العشرينات وكانت الوجهة نحو المشرق ولا سيما الشام وفلسطين والحجاز وتركيا، أما المرحلة الثانية فكانت الهجرات متوجهة نحو أوروبا وخصوصا فرنسا خاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، ولم تكن الهجرة نحو أوروبا عائلية بل كانت تعني أشخاصا فرادى معظمهم من الشباب الذين هاجروا طلبا للعمل، أو بحثا عن ظروف أفضل للحياة أو هروبا من المضايقة والاظطهاد فيما بعد، وقد لقي العشرات من المهاجرين حتفهم بسبب الأمراض والتي نتجت عن سوء التغذية التي يعيشونها في دار الهجرة[1].

لعب العامل الاقتصادي دورًا مهمًا في تحريك حركة الهجرة الجزائرية نحو المشرق خلال القرن التاسع عشر. كانت الأزمات الاقتصادية الحادة التي شهدتها الجزائر المستعمرة، مثل الأزمات التي حدثت في السنوات 1836 و 1847 و 1850 و 1867 و 1868، من الأسباب الرئيسية التي دفعت الجزائريين إلى الهجرة. كانت هذه الأزمات تجبر الناس على البحث عن مصادر عيش بديلة، فإذا فشلوا في العثور على عمل في بلادهم، يبدأون في التفكير جديًا في مغادرة البلاد، وفي بعض الأحيان كانت الإدارة الاستعمارية الفرنسية تضطر إلى رفع حظر الانتقال من منطقة إلى أخرى على الأهالي، مما يسمح لهم بالبحث عن مناطق أكثر ملاءمة للاستقرار. كانت هذه التحركات مدفوعة بالحاجة إلى تحسين الأوضاع المعيشية والاقتصادية في مواجهة السياسات الاستعمارية القاسية[2].

[1] محمد العربي حرز الله، **الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء عهد الاستعمار**، المرجع السابق، ص 316.

[2] خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900- 1956**،ج، 01 دار البصائر، الجزائر، 2009، ص ص 81- 82.

أدت السياسات الاستعمارية إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين، مما نتج عنه انتشار الفقر، ارتفاع معدلات البطالة، تزايد الأمية، وتدهور مستوى التعليم والثقافة. حتى العلماء تعرضوا للاضطهاد والتشريد من قبل الإدارة الاستعمارية، مما دفعهم إلى الهجرة إلى مناطق غير محتلة أو إلى بلدان إسلامية أخرى مثل المغرب وتونس والشام وتركيا. هذا النزوح أدى إلى فقدان البلاد لعناصرها المثقفة، مما أعاق أي محاولة لنهضة تربوية وعلمية في الجزائر، تزامنت الهجرة الجزائرية نحو المغرب والمشرق العربي مع فترة الاحتلال الفرنسي، واستمرت هذه الهجرة طوال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وشملت مختلف مناطق الجزائر، بما في ذلك الشرق والوسط والجنوب والغرب. فهجرة سكان منطقة الزيبان خلال فترة الإحتلال الفرنسي للجزائر ظاهرة من الظواهر التاريخية الهامة التي عكست تأثيرات الاحتلال على السكان المحليين[1]

[1] بن داود شيخ، **"المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب خلال التعليم المنظم (1920-1954)"**، أطروحة دكتوراه في علوم التاريخ الحديث والمعاصر، ، جامعة وهران، الجزائر، 2016، ص 217.

خلاصة الفصل:

شهد مجتمع الزيبان خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية أوضاعًا اقتصادية متردية انعكست سلبًا على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية. من أبرز هذه الانعكاسات فرض ضرائب مجحفة، شملت الضرائب الإسلامية التقليدية التي أعيد تنظيمها بشكل يخدم مصالح الاستعمار، إلى جانب الضرائب الفرنسية الجديدة التي أثقلت كاهل السكان وأدت إلى استنزاف مواردهم، ونتيجة لهذه السياسات الاقتصادية الجائرة، تفاقمت ظواهر الفقر والجوع والبطالة بين الأهالي، مما أدى إلى تدهور المستوى المعيشي العام. وقد ساهمت الظروف المعيشية القاسية وضعف الرعاية الصحية في انتشار الأمراض والأوبئة، التي أزهقت أرواح العديد من السكان وزادت من معاناتهم.

كما دفع هذا الوضع المتأزم بالكثير من سكان الزيبان إلى الهجرة؛ سواء الهجرة الداخلية نحو المناطق الحضرية بحثًا عن فرص أفضل، أو الهجرة الخارجية إلى بلدان مجاورة هربًا من الأوضاع الخانقة.

الخاتمــة

بعد التطرق الى كل الفصول التي تم عرضها عن الواقع الاقتصادي خلال فتره الاحتلال الفرنسي 1844 الى 1960 تواصلت الى عدد استنتاجات يمكن ايجازها في عدد نقاط:

- ✓ تتمتع منطقة الزيبان بموقع استراتيجي مهم يظهر من خلال خصائصها الجغرافية ومناخها المعتدل، كما يتضح تنوعها الاقتصادي في مجلات الزراعة والصناعة والتجارة، هذا ماجعلها منطقة حيوية ومزدهرة. إضافة إلى ذلك تكشف المعطيات التاريخية عن أهمية المنطقة منذ العصور القديمة ، نتيجة لما تزخر به من ثروات جعلتها مطمع للاستعمار الفرنسي .
- ✓ تؤكد رحلات وبعثات المستكشفين والجغرافيين الغربيين نحو منطقة الزيبان أن المنطقة من أبرز الوجهات التي جذبت اهتمامهم وفضلوه م خلال رحلتهم.
- ✓ من خلال دراسة الأوضاع الاقتصادية في منطقة الزيبان قبل الاحتلال الفرنسي تبين أن الاقتصاد في تلك الفترة ، كان يقوم بشكل رئيسي على الزراعة خاصة زراعة النخيل والرعي والتجارة المحلية، يتسم هذا الاقتصاد بطابع تقليدي واكتفائي.
- ✓ أظهر الاحتلال الفرنسي بمنطقة الزيبان سياسة استعمارية عنيفة، كان هدفها اخضاع سكان المنطقة والسيطرة على مقدراتهم الاقتصادية والاجتماعية مما أدى إلى بروز رد فعل السكان من خلال سلسلة من الثورات والمقومات الشعبية ، التي جسدت الوعي الوطني، والرفض الشديد للوجود الاستعماري الفرنسي، وقد عكست هذه ردة فعل قوة التلاحم بين سكان المنطقة وعمق الإنتماء للأرض، لتشكل الزيبان احدى أبرز ساحات المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي.
- ✓ بعد التطرق للفترة الاستعمارية اتضح أن سكان المنطقة واصلوا مزاولة أنشطتهم الاقتصادية التقليدية كالزراعة وتربية المواشي ، بالاضافة الى ممارس ة مجموع ة من الحرف التقليديۃ ومزاولتهم للتجارة المحلیۃ او الخارجیۃ، قد حصر هدف هذه الانشطة في توفير الضروريات الغذائية والألبسة الأساسية.

- ✓ عرفت منطقة الزيبان سياسة اقتصادية فرنسية اتسمت بطابع استعماري استقلالي يهدف الى احكام السيطرة على الموارد المحلية وتسهيل استغلالها وقد تجلت السياسة في مصادرة الأراضي الزراعية وسلبها من الفلاحين والتحول من المنتوجات الزراعية الى المزروعات الزراعية الصناعية بالإضافة إلى تنفيذ مشاريع بنى تحتية مثل شق الطرق ومد السكك الحديدية والتي لم تكن لخدمة سكان المنطقة بقدر ماكانت تهدف الى تعزيز الهيمنة الفرنسية على المنطقة وعلى ثرواتها.
- ✓ اسفرت السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة الزاب عن مجموعة من الانعكاسات التي أدت إلى تفكك المجتمع الزابي وزعزعة استقراره الاقتصادي والإجتماعي،حيث فرضت سلطات الاحتلال ضرائب أثقلت كاهل السكان وأدت إلى تدني في مستوى المعيشة يتجلى ذلك في تفشي الفقر والجوع والبطالة، إضافق الى انتشار الامراض والاوبئة وقد أجبرت هذه الاوضاع القاسية العديد من سكان المنطقة على الهجرة سواء للمناطق الاخرى أو إلى خارج الوطن.
- ✓ إن السياسة الفرنسية لم تكن عشوائية بل كانت جزءا من مخطط استعماري مدروس يهدف إلى تهميش المجتمع الزابي واضعاف قدرته على المقاومة لتحقيق الهيمنة والسيطرة.

وانطلاقا من أهمية دراسة الواقع الاقتصادي للزيبان خلال الاستعمار فإننا نوصي بضرورة توسيع البحث أكثر مستقبلا ليشمل مجموعة من النقاط أهمها:

- مقارنة الأوضاع الاقتصادية في منطقة الزيبان ومناطق أخرى في الجزائر خلال نفس الفترة.
- توثيق شهادات محلية ومصادر أرشيفية جديدة لإثراء هذه الدراسة أكثر وضرورة الاهتمام بالتاريخ المحلي خاصة المناطق الصحراوية التي تأثرت بالاستعمار.

الملاحق

الملحق رقم 01: صورة لشخصية بن قانة

- **La Source: Félix Hatfort, Au pays des palmes Biskra, paris, 1897, p 40.**

الملحق رقم 02: عساكر الاحتلال الفرنسي أثناء إحتلال منطقة الزيبان 1844م

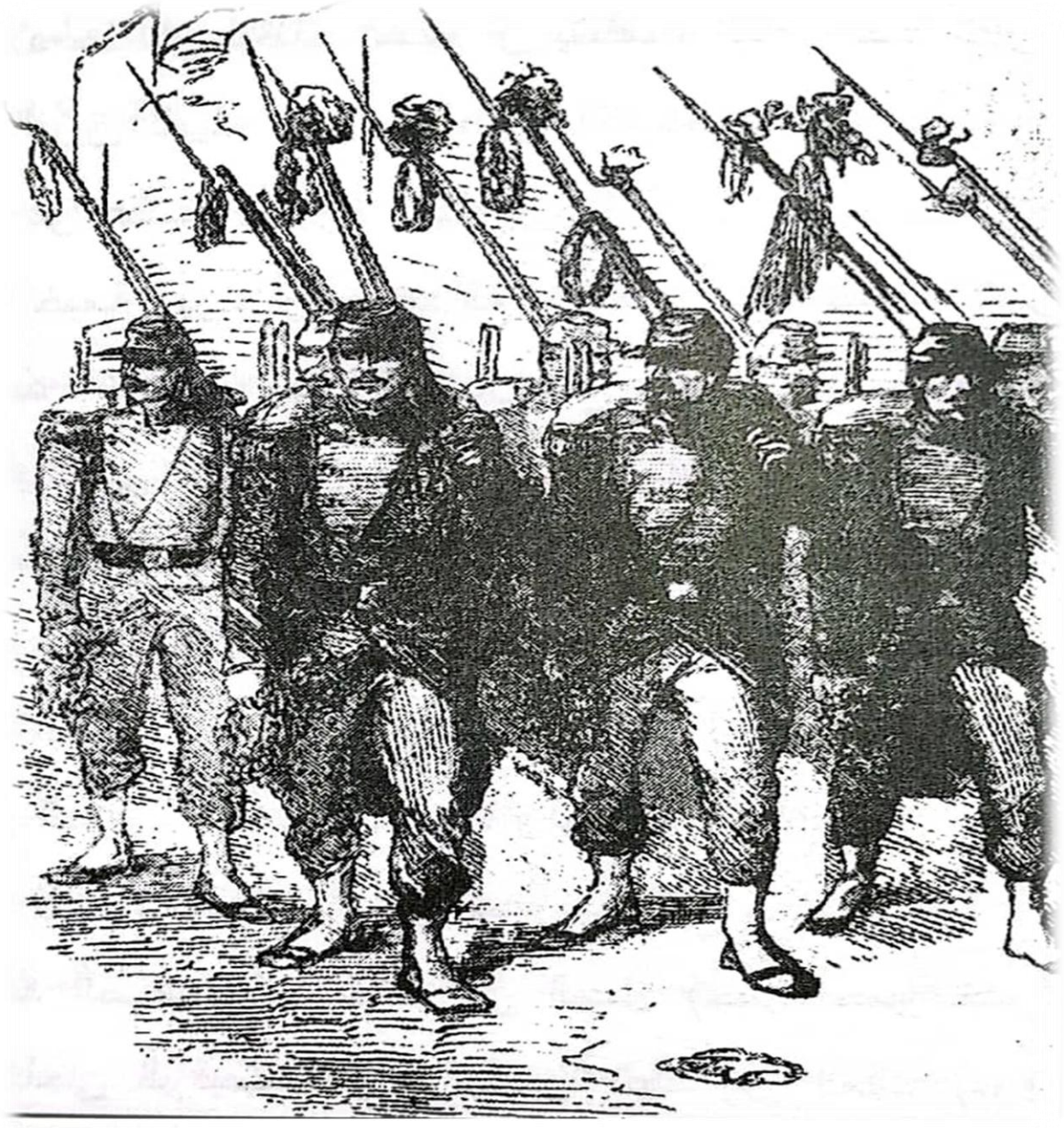

- المصدر: عبد الحميد زردوم، البساكرة يتذكرون فرنسا 1844- 1962، المرجع السابق، ص 17.

الملحق رقم 03: صورة توضح عملية جني التمور

- المصدر: محمد الصغير رشيد، باب الخوخة حكايات عن المدينة الجميلة، خواطر عن عروس الزيبان، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة- الجزائر، ، ص 43.

الملحق رقم 04: صورة توضح الزراعة بالطريقة التقليدية

- **La Source: Rivére thérèse, Aures, Algérie1935- 1936, Edutions de la maison des sciences de l'homme, paris, 1987, p 34.**

الملحق رقم 05: رسم يبين آلة الخطارة التي يستخرج بها الماء

- المصدر: محمد العربي حرزالله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، المرجع السابق، ص 333.

الملحق رقم06: صورة لأحد الآبار التابعة لشركة بسكرة وواد ريغ

- **La Source: Félix Hatfort, op- cit, p 146.**

الملحق رقم07: صورة تمثل مشهدا تراثيا من حياة البادية في الزيبان وهو رعي الغنم

- المصدر: صورة مأخوذة من مقطع فيديوا على تطبيق اليوتيوب، تحت عنوان حياة البدو في نواحي الزيبان، رابط الفيديوا:

https://youtu.be/Albuq1A7BGA?si=WnSGr3iMit_0Xz_N

الملحق رقم08: مقر الأخوات البيض لاسورات في بسكرة

–صورة مأخوذة من صفحة إكتشف بسكرة في صور على منصة فيسبوك، رابط الصفحة:

https://www.facebook.com/groups/1513847005407936

الملحق رقم09: صورة توضح حرفة الحدادة

- **La Source: Rivére thérèse, Aures, Algérie1935- 1936, op- cit , p113.**

الملحق رقم 10: صورة توضح مطحنة تقليدية مصنوعة من الحجارة

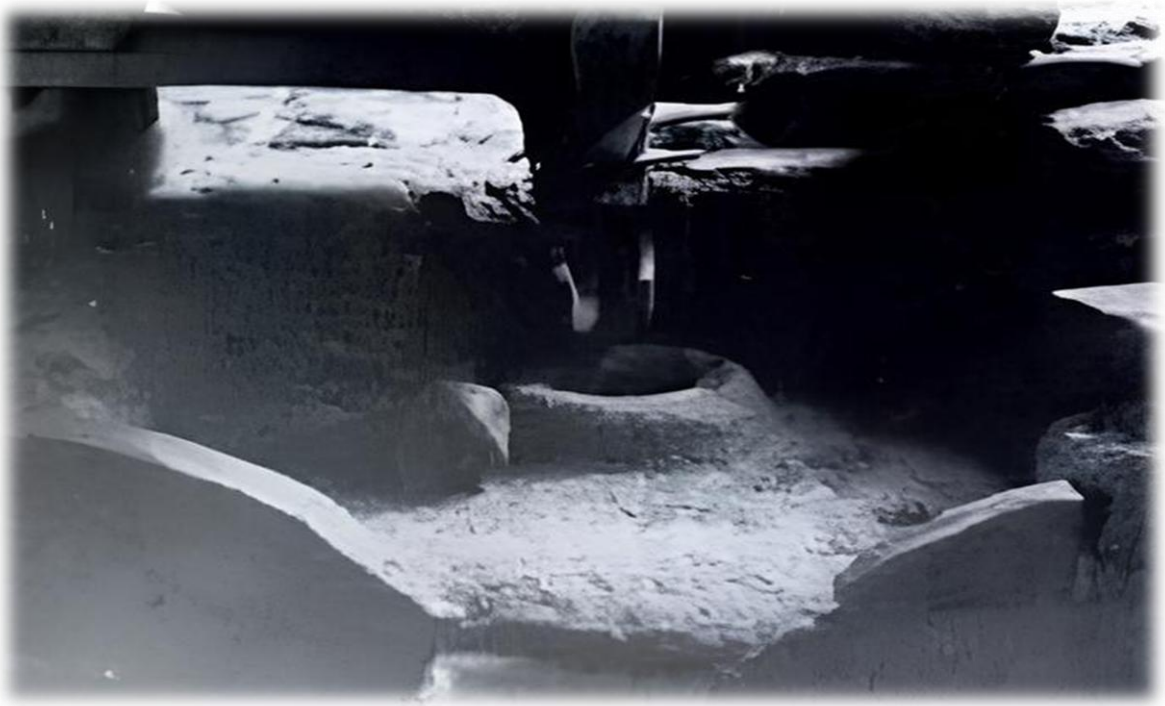

– La Source: Rivére thérése, op –cite, p 30.

الملحق رقم11: صورة مأخوذة لسوق بسكرة خلال فترة الاحتلال الفرنسي

- La Source: S.H, Leeder,The desert gate, Biskra and thereabouts, London, 1910, p 28.

الملحق رقم 12: صورة لمحطة السكة الحديدة ببسكرة التي بناها الاحتلال الفرنسي

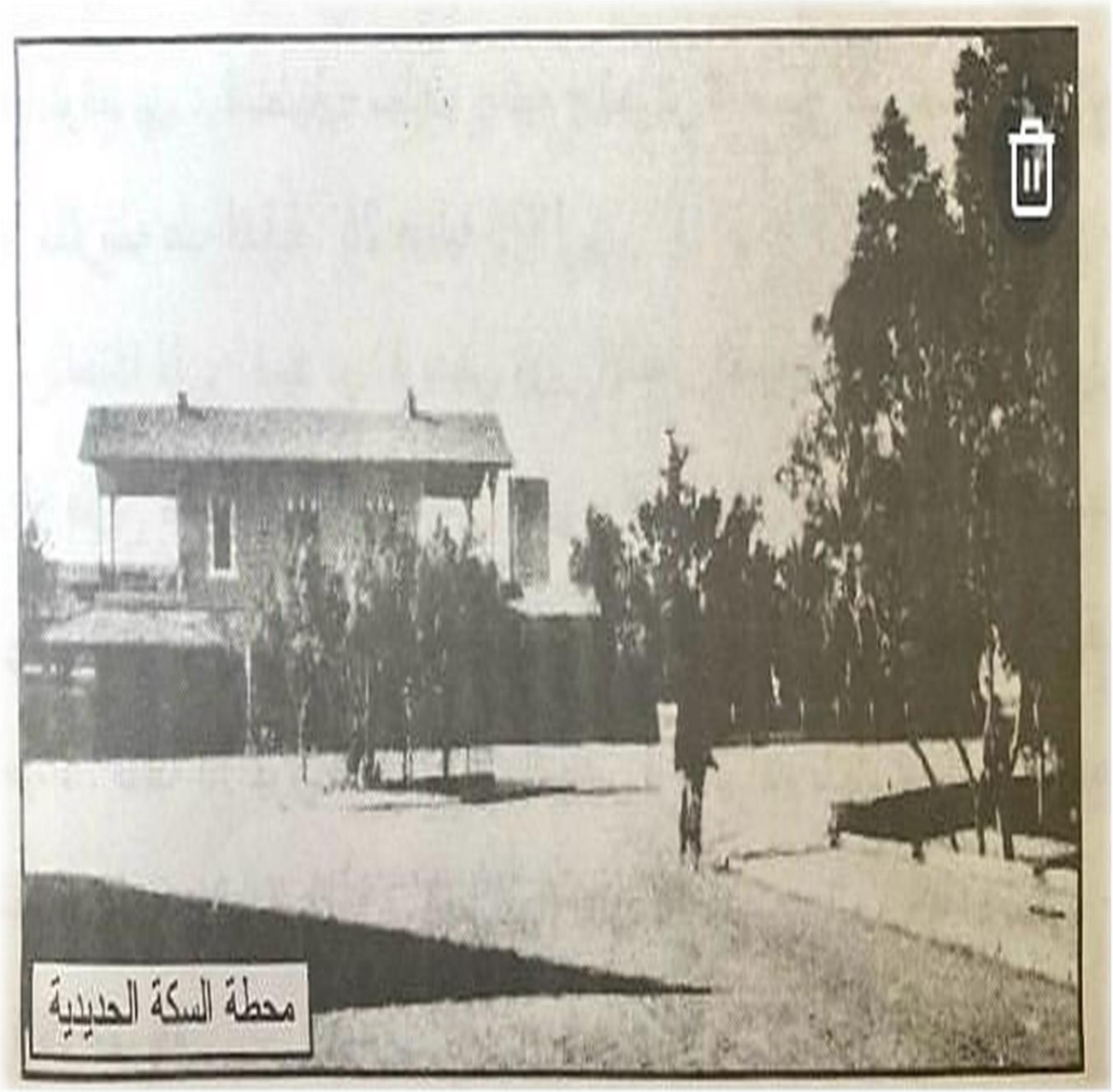

- المصدر: عبد الحميد زردوم ، تاريخ بسكرة الفرنسية ،المرجع السابق، ص34

الملحق رقم 13: السكة الحديدية التي أنشأها الاستعمار الفرنسي تحت الجسر الروماني بالقنطرة

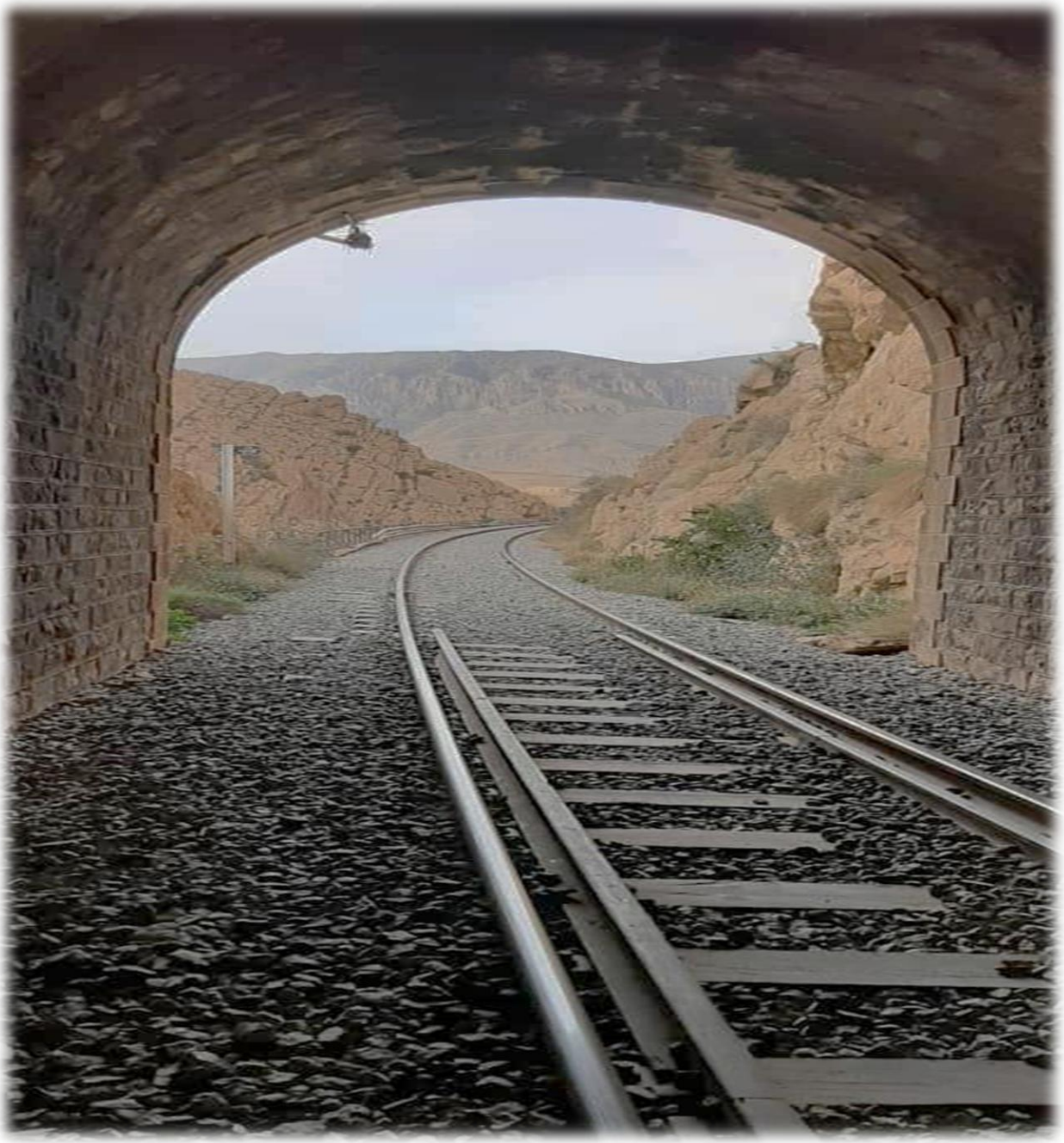

- المصدر: من إنجاز الباحث

الملحق رقم 14: مركز صحي تركه الاستعمار الفرنسي بسيدي خالد بناه سجناء ألمان سنة 1947م

- المصدر: محمد العربي حرزالله، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد، ص 295.

الملحق رقم 15: مجموعة من الممرضين الذين لعبوا دورا كبيرا في اسعاف المواطنين أثناء فترة الأمراض والأوبئة من بينهم عبد الكريم غربي وعلي حرز الله ومحمد حرزالله وبوزيد زريقط

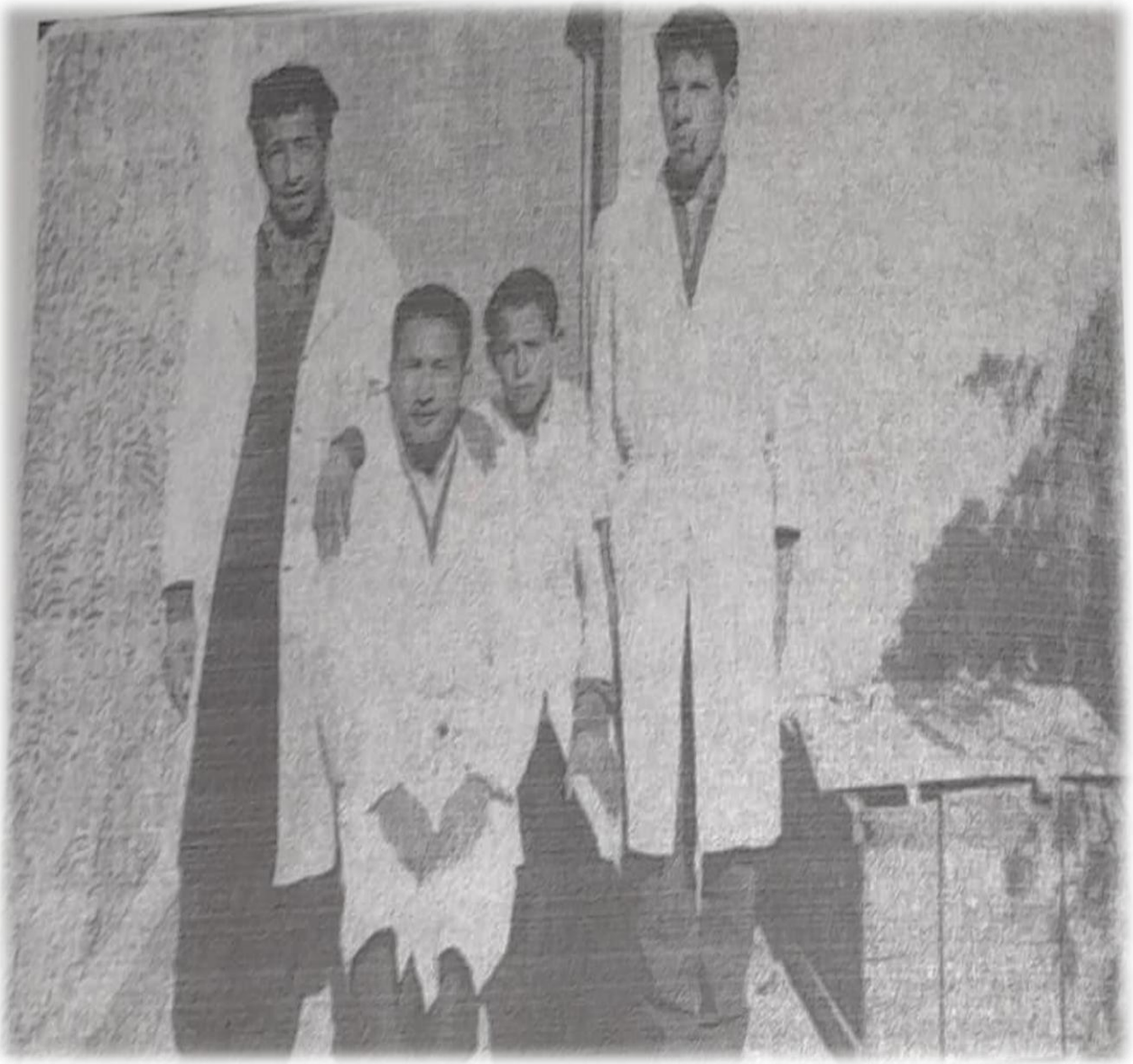

- المصدر: محمد العربي حرزالله، المرجع السابق، ص 297.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر باللغة العربية.

- الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشر الإبراهيمي، دار الغ رب الإسلامي، 1997م، بيروت، ط1/1997، ج4.
- بن خلدون عبد الرحمان، العب ر ود يوان المبتدأ والخب ر في أ يام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، تح: خلي لشحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ- 1988م.
- بن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، ج1، دار صادر، بيروت، ط1، د-س.
- الجزري ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1407هـ- 1987م، مج3.
- الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج3، دار الفكر، بيروت، د-س.
- العنتري محمد صالح، تاريخ قسنطينة فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة وإستيلاءهم على أوطانها، مراجعة وتقديم يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931.
- مقديش محمود، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار،مج 1، تح: علي الـ زاوي ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

ثانيا المراجع باللغة العربية

- الجمعية الناصرية للتنمية الثقافية والإجتماعية لخنقة سيدي ناجي، الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي، (1600-2002) بحوث في تاريخها وسكانها وترجمات لبعض أعلامها، شركة الهدى، عين مليلة،الجزائر، 2002.
- الحثروبي محمد صالح، قطف الجنان في تاريخ الزيبان، دار الهدي،عين مليلة،الجزائر، 2000.

- حزر الله محمد العربي، الظاهرة الثقافية في سيدي خالد اثناء عهد الاستعمار، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر 2005.
- أيفون توران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، تر: محمود عبد الكريم أوزعلة ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2008 .
- بالحميسي مولاي، الجزائر خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- بوضرساية بوعزة وآخرون، الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجرائد خلال القرن 19، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ، الجزائر، 2000.
- بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين19 و 20، دار البعث، الجزائر، 1980.
- بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري، و الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1954، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2007.
- بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- بومعزة عبد القادر، بسكرة في عيون الرحالة العربيين، الجزء الأول. الطبعة الأولى. دار علي بن زياد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2016.
- بومعزة عبد القادر، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين. ط 1 ج 1، دار علي بن زيد للطباعة والنشر. بسكرة الجزائر 2016.
- حزر الله محمد العربي ، اولاد جلال، اصالة، حضارة وتاريخ. شمس الزيبان للنشر و التوزيع. الجزائر 2008.
- حزر الله محمد العربي، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830-1960) دار السبيل، وزارة الثقافة، الجزائر 2008.

- حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر (طبيعية ، بشرية، إقتصادية) ، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968.
- حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية) ، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968.
- خمار أحمد، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة، دار الهدى للطباعة، الجزائر، 2012 .
- الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1972.
- الزبيري محمد العربي، مقاومة الجنوب الجزائري للاحتلال الفرنسي، ط 2، دار الحكمة، الجزائر، 2018.
- زردوم عبد الحميد، البساكرة يتذكرون فرنسا، 1844-1963، تر: أمال دهار، مطبعة المنار، بسكرة، الجزائر، 2005 .
- زردوم عبد الحميد ، بطاقة تعريف بسكرة، ترجمة: أمال دهار. مطبعة المنار، بسكرة، الجزائر، 2005.
- زوزو عبد الحميد ، الأوراس إبّان فترة الاستعمار الفرنسي (1837-1939)، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار هومة، الجزائر، 2005.
- سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية 1890- 1900، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
- سليمان أحمد حسين، نزع الملكية العقارية للجزائريين (1830-1871) ع06، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر المركز الوطني للدراسات و البحثفي الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر 1954، الجزائر، 2002.

- شترة خير الدين، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900- 1956 ، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- صاري الجيلالي، الكارثة الديمغرافية (1867-1868) ترجمة: عمر المعرابي، منشورات ANEP، الجزائر، 2008.
- الصلابي علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط 1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر ، 2001.
- الصيد عبد الحليم، أبحاث في تاريخ الزيبان، ط1، مطبعة سوف الوادي، الجزائر، 2000.
- الصيد عبد الحليم، عبد الحفيظ خنقي العالم المري والصوفي المجاهد،النبأ،الجزائر، ع 164- 1994.
- عباد صالح ، المعمرون و السياسة الفرنسية في الجزائر (1871-1900) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- عثماني مسعود، أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد، دار الهدى، الجزائر، 2008.
- العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 م.
- عمورة عمار، داودة نبيل ، الجزائر بوابة التاريخ، الجزء الأول ، مراجعة: عبد العزيز بوسخرون، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- عميراوي أحميدة وآخرون ، السيّاسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844 - 1916، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
- فركوس صالح، ادارة المكاتب العربية و الاحتلال الفرنسي للجزائر ، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.

- فركوس صالح، إدارة مكاتب العربية والإحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد، 1844-1978، منشورات جامعة برج باجي مختار، الجزائر، 2006.
- فركوس صالح، الحاج أحمد باي قسنطينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1933.
- فركوس صالح، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الى غاية الاستقلال ، دار العلوم للنشر و التوزيع، عنابة، الجزائر، 2005.
- فيلالي عبد السلام، الجزائر الدولة و المجتمع ، ط 1 ، دار الوسام العربي ، الجزائر ، 2013.
- كحول عباس، مقاومة الصادق بن الحاج بالزاب وأحمر خدو والأوراس 1844-1859م، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر، 2015.
- لونيسي رابح، العربي التبسي الفقيه والثائر، دار المعرفة، الجزائر، (د-س).
- مارمور كربخال ، إفريقيا، ج 3، تر: محمد حجي وآ خرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1408-1409ه، 1988-1989م.
- محلي فردوس، الأمراض والأوبئة في منطقة ريغ 1854- 1962 ، رضوان شافو ، ط1 ، سامي للطباعة والنشر والتوزيع ، الوادي – الجزائر ، 2022 .
- المدني أحمد توفيق، جعرافية القطر الجزائري للناشئة الاسلامية العربية للطباعة و النشر، الجزائر، 1948.
- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر،1931.
- المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956.
- مقلاتي عبد الله، المشروع الفرنسي الصليبي الإحتلالي للجزائر وردود الفعل الوطنية،1830- 1962، وزارة الثقافة، الجزائر، (د. س. ن).

- المنور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر، دار المعرفة للنشر، الجزائر، 2006.
- المؤساوي فلة، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518 – 1830) منشورات بن سنان، الجزائر، 2013 .
- مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837– 1934، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- مياسي إبراهيم، المقاومة الشعبية الجزائرية، دار مدني للنشر، الجزائر، 2009
- مياسي إبراهيم، من قضايا تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- النايلي عبد القادر، المقاومات والإنتفاضات الشعبية من خلال المجلة الافريقية (انتفاضة الزعاطشة نموذجا)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2013.
- الهواري عدي، الاستعمارالفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي 1960/1830، ترجمة جوزف عبد الله، دار الحداثة، بيروت–لبنان 1983.
- وزارة الثقافة، بسكرة اسوارة حضارة وزارة الثقافة، الجزائر (د–س).

ثالثا: قائمة الرسائل والأطروحات الجامعية

- أجرتني محمد، أسرة بن قانة ومكانتها السياسية والاجتماعية خلال العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ،كلية الآداب والعلوم الانسانية ،قسم التاريخ ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة، 1426–1425هـ– 2005/2004م.
- بن جابوا أحمد، المهاجرين الجزائريون ونشاطهم في تونس (1830–1954)، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، الجزائر، 2011/2010.

- بن داود شيخ، "المقاومة الثقافية للاستعمار الفرنسي في كل من الجزائر والمغرب خلال التعليم المنظم (1920-1954)"، أطروحة دكتوراه في علوم التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، الجزائر، 2016.
- بن سالم أحمد، الأوضاع الصحية للجزائريين في منطقة وادي سوف من خلال دورية معهد باستور الجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009/2008.
- بن مسعود جمال، الصحراء الجزائرية تحت النظام العسكري لأقاليم الجنوب الجزائري 1902-1947م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الطور الثالث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار، الجزائر، 2021-2022.
- بوخليفي قويدر جهينة، تطور النظام الواحي وعلاقته بالقصور في الصحراء المنخفظة '' الزيبان '' أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2017.
- بولحبال رياض، أخبار بلد قسنطينة وحكامها، مذكرة لنيل شهادة الماجستيرفي الدراسات العليا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة،2010/2009.
- بومزو عزالدين، الضباط الفرنسيين الإداريين في إقليم الشرق الجزائريأرنست مارسيه نموذجا ، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.
- حيمر صالح، السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر 1830- 1930، أطروحة دكتوراه، جامعة باتنة- الجزائر، 2014/2013.
- خنقوق إسماعيل، دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1831-1844، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخظر، باتنة، الجزائر، 2011/2010.

- زبيدي مباركة، الأوضاع الصحية في منطقة الجنوب الشرقي للجزائر بين (1900-1962) (بسكرة ، الوادي، ورقلة) أنموذجا، مذكرة دكتوراه في علوم التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخظر بالوادي، الجزائر، 2024/2023.
- زقب عثمان، السياسة الفرنسية في الجزائر 1830- 1914، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة- الجزائر، 2814- 2015.
- سنوسي سميرة، التصحر في إقليم الزيبان وانعكاساته على التهيئة، ولاية بسكرة، رسالة ماجستير في تهيئة الأوساط الفيزيائية، كلية عل وم الأرض والجغ رافيا والتهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة ، الجزائر، 2006.
- شريف داود، التوسع الاستعماري في الجنوب الجزائري 1912/1844، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخظر، باتنة، الجزائر، 2016/2015.
- شلبي شهرزاد، ثورة واحة العامري وعلاقاتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخظر، باتنة، الجزائر، 2009.
- طبعة حورية، السياسة الاقتصادية الاستعمارية الفرنسية في عمالة قسنطينة 1870-1954م، أطروحة دكتوراه، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2020.
- علامة صليحة، الأوضاع الصحية في الجزائرإبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962عمالة الجزائر نموذجا دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر، 2017/2015.

- فريح لخميسي، الثورة الجزائرية في منطقة الزيبان (إرهاصاتها و مسارها) 1919-1956م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله، 2017.
- كحول عباس، دور الزاوية الرحمانية في مقاومة الاحتلال بالزاب الشرقي (1859-1849)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر2، 2011.
- مجاهد يمينة، تاريخ الطب البديل في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران-الجزائر، 2018/2017.

رابعا: قائمة المجلات.

- بوخليفي قويدر جهينة، منطقة الزيبان دراسة طبيعية جغرافية، مجلة قيس للدراساتالانسانية والاجتماعية، مج 6، ع 2، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2022.
- بوراية مريم، النظام القانوني للأراضي الفلاحية في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر، مجلة معالم الدراسات القانونية والسياسية، ع 04، المركز الجامعي تيندوف- الجزائر، جوان 2018.
- بوعزيز يحي، من تاريخ كفاح الجزائر في القرن التاسع عشر أربعة أحداث في ثلاث وثائق، المجلة التاريخية المغربية، سير مدي زغوان، تونس، ع2، 1974.
- بوغدادة الأمير، دور الإخوان الرحمانيين في المقاومة بمنطقة الزيبان خلال القرن 13هـ-19م، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع1، جوان 2015، جامعة بسكرة.
- تابليت علي، مصادرة أملاك أهل الزعاطشة وأولاد ضاعن بنواحي قالمة 1852-1853، مجلة الثقافة، ع 118، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، الجزائر،1982.

- تريكي أحمد، نظرة تاريخية للتعليم والوضع الاقتصادي للجزائر قبل واثناء الاحتلال، مجلة قرطاس، العدد 02، جامعة بشار، الجزائر، 2015.
- تلمساني بن يوسف، التوغل الفرنسي في منطقتي الأوراس والزيبان، مجلة المصادر، ع22، جامعة الجزائر.
- حساين زهية، الحرف والحرفيون في الفترة الاستعمارية،مجلة العلوم الإنسانية، جامعة وهران الجزائر،ع -04-05، جويلية 2014/2013.
- خياري عبد الله، أزمة الواحات التقليدية في الصحراء الجزائرية: واحة طولقة نموذجا، إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع 52، الجزائر، 2011.
- روابحي العياشي، هجرة بعض العائلات الجزائرية الكبرى إلى البلاد التونسية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج24، ع53، جوان 2018.
- سعداوي ليلى، التحولات الاقتصادية والاجتماعية في مدينة بسكرة خلال الفترة الاستعمارية، مج08، ع02، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، الجزائر، 2022.
- شافو رضوان، انعكاسات السياسة الاستعمارية على العلاقات بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1830- 1954، مجلة كان التاريخية، ع،34، مصر، 2016.
- شلبي شهرزاد، الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، دورية كان التاريخية، س 04، ع 11، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، مصر، 2008.
- شمول أسماء و شرفة فريدة، دور بوعزيز بن قانة في دعم الاحتلال الفرنسي في إقليم الزيبان من خلال المكتب العربي 1844- 1864، المجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 8، ع2، الجزائر، 2023.

- عماري أحلام ووناسي سهام، الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر، مجلة أنثروبولوجيا، مج08، ع01، جامعة باتنة، الجزائر، 2022.
- مصمودي فوزي، أسباب فشل ثورة الزعاطشة، المجلة الخلدونية، ع 03، الملتقى الوطني الثاني "بسكرة عبر التاريخ".
- مصمودي فوزي، خلفاء الأمير عبد القادر بالزيبان، المجلة الخلدونية، ع 03، 2004م، بسكرة.
- مصمودي فوزي، معركة مشونش ببسكرة 1844م الخالدة، المجلة الخلدونية (المقاومة الشعبية ببسكرة)، ع03، 2004م، بسكرة.
- مطمر محمد العيد، الغزو والاحتلال للاوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكانة المنطقة (1844-1884)، مجلة العلوم الإنسانية، ع 10، جامعة بسكرة، نوفمبر 2006م.
- مياسي إبراهيم، احتلال بسكرة 1844، الخلدونية، ع2، بسكرة، 2003.
- مياسي إبراهيم، ثورة الزعاطشة 1848، مجلة الدراسات التاريخية، ع 08، جامعة الجزائر 02.

خامسا: المعاجم والموسوعات.

- **المعاجم:**

- بن صحراوي كمال، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن 19 شخصيات أماكن أحداث معارك، منشورات ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، 2020م.
- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت ،1980م

- **الموسوعات:**

- بن نعيمة عبد المجيد ، موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر، الجزائر،2007.

سادسا: قائمة المقالات

- سليماني أحمد حسين، نزع الملكية العقارية للجزائريين 1830- 1871، ع 06، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر،2002.
- عماري أحلام و وناسي سهام ، صناعة الأواني الفخارية لدى المرأة الأمازيغية لمنطقة مشونش، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 14، ع 02، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2022.

سابعا: قائمة الملتقيات

- بن غضبان فؤاد، أثر التحولات الاجتماعية والاقتصادية على البنية التجارية للمدن الصحراوية الجزائرية، دراسة في مدينة بسكرة – الجزائر، ملتقى دولي حول تحولات المدينة الصحراوية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2010.
- ثنيو نور الدين، هجرة الجزائرين إلى المشرق العربي بين السياسة والدين 1848-1912، أعمال الملتقى العلمي الأول سيسولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر 2008 ، منشورات مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية التاريخية حول الهجرة والرحلة، قسنطينة، 2009.
- سويسي محمد الصغير، المقاومة الشعبية في الزاب الشرقي بقيادة عبد الحفيظ الخنقي، الملتقى الوطني للمقاومة الشعبية بالزيبان، مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، الجزائر، 1998.
- صيد عبد القادر، بلدة ليشانة محضن العلم والمقاومة"، الملتقى الوطني الثاني عشر (بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان، دار الثقافة أحمد

رضا حوحو بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014م، الجمعية الخلدونية،2017م.

- قويدري محمد ، بلدات طولقة وبرج بن عزوز وفرفار وليشانة حواضر العلم والدين وحواضن الجهاد والاستشهاد، (الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ) من حواضر ومدن وبلدات منطقة الزيبان، دار الثقافة أحمد رضا حوحو بسكرة، أيام 23- 24- 25- 26 ديسمبر 2014م، الجمعية الخلدونية، 2017م.
- قيداد العيد، حواضر لها تاريخ (فوغالة، العامري، الدوسن)، الملتقى الوطني الثاني عشر بسكرة عبر التاريخ من حواضر ومدن وبلدات المنطقة، دار الثقافة أحمد رضا حوحو، بسكرة، أيام 23-24-25-26 ديسمبر 2014م، الجمعية الخلدونية،2017.

ثامنا: قائمة المقابلات.

- مقابلة شخصية، سالم سايحي،1941، الفيض، بتاريخ 15 أفريل 2025.

تاسعا: قائمة المصادر والمراجع الأجنبية

أ -باللغة الفرنسية:

- Zerdoum Abdelhamid، Les Biskra et la France, entreprice des arts graphique etde bureautique de Biskra, 1998
- Zerdoum Abdelhamid, Les français a Biskra 1844-1962, entreprise des arts graphiques et de bureutique de Biskra, Alger 1988.
- Ben Gana Bouaziz, le Chekh el Arabe, étude historique suir la famille Ben Gana, Alger, 1930.
- Félix Hatfort, Au pays des palmes Biskra, paris, 1897.
- CH. LUTAUD, Expose de la situation Générale des Territoires du Sud de L'Algérie, présenté parImprimeurLibraire Editeur, Alger, Année, 1913
- Cherfa Halim: I héroïque bataille de zaatcha, I imprimerie el maraaf, Alger, 2007.

- M.ch. Lautaud, expose de la situation générale des territoires du sud L'Algérie Annee 1914- 1915, imprimerie Libraire_Diteur, Alger, 1916.
- Niel Odilon, Grèographie de l'Algerie, Ta, lmprimerie d'agenda 1876.
- Rivére thérèse, Aures, Algérie1935- 1936, Edutions de la maison des sciences de l'homme, paris, 1987.
- Shaw Thomas, voyage dans la régence d'alger, trduit de l'anglais par Mac Carthy, Paris, 1830, Bibliothèque nationale de France.

ب -باللغة الإنجليزية

- L'Abbé Jean Hurabielle (ancien secrétaire du cardinal Lavigerie), Au pays du bleu. Biskra. Paris, Augustin Challamel, Eduteur, 1899.
- S.H, Leeder, The desert gate, Biskra and thereabouts, London, 1910.

عاشرا: المواقع الالكترونية:

- https://youtu.be/AIbuq1A7BGA?si=WnSGr3iMit_0Xz_Nhttps://www.facebook.com/groups/1513847005407936
- https://elmaouid.dz/

فهرس الأعلام

حرف-أ-

-ابن الأعرابي، ص 11
-ابن المهاجر دينار، ص 17
-ابن منظور، ص 11
-أحمد باي شنوف، ص 18، 32
-إسماعيل العربي، ص 12
-الدوق الدومال، ص 24، 25، 26
-الشيخ البشير الابراهيمي، ص 12
-الشيخ بوزيان، ص 30، 31، 32
-الصادق بن الحاج، ص 29، 32، 33

حرف-ب-

-باربوني طوماس، ص 11
-بوعزيز بن قانة، ص 23، 28، 30، 77
-بن خلدون، ص 24، 27، 35، 36
-بولخراص، ص 33، 36
-بيار ديفورغ، ص 65

حرف-ت-

-توماس شاو، ص 12

حرف-ج-

-جون هيرابيال، ص 17
-جزيل ستيفان، ص 17

حرف-خ-

-خليفة بن الحسن العماري، ص 19

حرف-د-

-دوسان سان جيرمان، ص 31، 34

-ديبون ألكسندر، ص 35

حرف-ر-

-روسبني غايتانوا، ص 35

حرف-س-

-سفيدرات لبار، ص 29

-سكوتو أبراهام، ص 38

حرف-ع-

-عبد الحفيظ الخنقي، ص 32، 33، 35

-عقبة بن نافع الفهري، ص 17

-عمران بن جنان، ص 26

حرف-ل-

-لويس فيليب، ص 29

حرف-م-

-ماريا موراني، ص 27

-محمد الصغير، ص 26، 27، 28

-محمد المسعود الرماني، ص 19، 20

-محمد بن يحي بن محمد، ص 35، 36، 37

فهرس الأماكن

حرف-أ-

-أحمر خدو، ص 24، 28
-أوماش، ص 28
-أورلال، ص 28
-أولاد جلال، ص 15، 47، 51، 58
-الجريد، ص 12، 46
-البرج، ص 28
-الدوسن، ص 11
-الأغواط، ص21، 47
-الأوراس، ص 27، 47، 48
-البيض، ص 22
-الزعاطشة، ص 28، 29، 30، 31
-الجزائر، ص 29، 36، 42، 49، 69، 89
-الزيبان، ص 29، 41، 42، 45،46، 68، 76
-السودان، ص 63، 69
-الصحيرة، ص 28
-المسيلة، ص 12
-الفيض، ص 48، 67
-القنطرة، ص 53، 57
-المغرب، ص 63، 92
-النمامشة، ص 47
-الوطاية، ص 12، 62

حرف-ب-

-بادس، ص 11، 32
-بسكرة، ص 11، 13، 18، 23، 24، 26، 34

-بوسعادة، ص 37
-بوشقرون، ص28

حرف-ت-

-تركيا، ص 91
-تقرت، ص 45، 63، 64
-تهودة، ص 11
-تونس، ص 27، 63، 89

حرف-ج-

-جبل النعام، ص 14
-جبل حشانة، ص 14
-جبل قسوم، ص 14

حرف-خ-

-خنقة سيدي ناجي، ص 12، 35، 48

حرف-ز-

-زريبة الواد، ص 32، 46، 47، 67

حرف-س-

-سريانة ، ص 33، 48
-سكيكدة، ص 63
-سيدي خالد، ص 58
-سيدي عقبة، ص 42، 48، 54، 86
-سيدي مصمودي، 47

حرف-ش-

-شتمة، ص 31

حرف-ط-

-طرابلس، ص 63

-طولقة، ص 11، 28، 42، 58، 53

حرف-ق-

-قسنطينة، ص 12، 23، 42، 54، 70

حرف-م-

-مشونش، ص 24، 25، 57، 59

-مقرة، ص 12، 14

-مليلي، ص 11، 28

حرف-و-

-واحة العامري، ص 35، 37

-واد الجدي، ص 47

-واد ريغ، ص 46، 49، 68، 69، 86

-واد سوف، ص 85

-ورقلة، ص 69، 70، 71

الفهـــرس

الفهرس

شكر وعرفان .....

إهداء .....

قائمة المختصرات باللغة العربية والأجنبية .....

مقدمة .....2.....

الفصل الأول:

الزيبان جغرافيا تاريخيا اقتصاديا

تمهيد: .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

أولا: جغرافية منطقة الزيبان. .....1.1.....

1-التسمية والمجال الجغرافي: .....1.1.....

2-التضاريس: .....13.....

ثانيا: السياق التاريخي لمنطقة الزيبان قبل الاحتلال الفرنسي .....17.....

1-لمحة تاريخية عن منطقة الزيبان: .....17.....

ثالثا: الوضع الاقتصادي قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة. .....19.....

1-النشاط الفلاحي: .....19.....

2-الصناعات اليدوية .....21.....

3-الأنشطة التجارية: .....21.....

رابعا: احتلال فرنسا لمنطقة الزيبان .....23.....

1-احتلال منطقة الزيبان 04 مارس 1844م .....23.....

2-رد فعل سكان المنطقة على الاحتلال: .....24.....

1.2-معركة مشونش 15 مارس 1844م: .....24.....

2-2 معركة بسكرة ماي 1844: .....26.....

2-3مقاومة الزعاطشة 1849م: .....29.....

2-4 مقاومة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي 1849م: .....32.....

2-5 مقاومة العامري 1876م: .....36.....

خلاصة الفصل: .....39.....

الفصل الثاني:

الأنشطة الاقتصادية في منطقة الزيبان خلال فترة الاستعمار الفرنسي

تمهيد: .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

أولا: القطاع الفلاحي .....42.....

1-النشاط الزراعي .....42.....

2-أنظمة السقي: .....46.....

3-تربية المواشي: .....50.....

ثانيا: النشاط الحرفي .....53.....

1-صناعة النسيج والجلود .....53.....

2-الصناعة الفخارية وفنون الزخرفة: .....56.....

3-صناعات يدوية أخرى: .....58.....

ثالثا: النشاط التجاري .....61.....

1-التجارة المحلية: .....61.....

2-التجارة الخارجية: .....63.....

رابعا: السياسة الاستعمارية الإقتصادية الفرنسية في الزيبان .....66.....

2-التركيز على الزراعة الصناعية: .....68.....

3-شق الطرق ومد السكك الحديدية: .....70.....

خلاصة الفصل: .....73.....

الفصل الثالث:

إنعكاسات الواقع الاقتصادي على المجتمع الزابي خلال الفترة الاستعمارية

تمهيد: .....**خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

أولا: الضرائب وتداعياتها .....76.....

1-الضرائب الإسلامية: .....76.....

3-الضرائب الفرنسية: .....78.....

ثانيا: تدهور الحالة الاجتماعية .....81.....

1-إنتشار الفقر والبطالة: .....81.....

3-الأمراض والأوبئة: .....84.....

ثالثا: الهجرة .....88.....

1-الهجرة الداخلية: .....88.....

2-الهجرة الخارجية: .....90.....

خلاصة الفصل: .....94.....

الخاتمـة .....95.....

قائمة المصادر والمراجع .....114.....

فهرس الأعلام .....129.....

فهرس الأماكن.....130

REPUBLIC ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAI
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEURE ET DE L
RECHERCHE SCIETIUFIQUE
UNIVERSITE MOHAMED KHIDER – BISKRA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SCOCIALES
DEPARTEMENT SCIENCES HUMAINES
REF: / D.S.H./2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية -السنة الجامعية 2024- 2025
رقم : / ق.ع.إ / 2025

التصريح الشرفي الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز مذكرة الماستر

أنا الممضي أسفله،

-الطالب: سليمان إسماعيل سالم ، رقم بطاقة التعريف الوطنية:208652380، تاريخ الصدور:2022/12/26

المسجل (بن) بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: العلوم الانسانية شعبة: التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

والمكلف(بن) بإنجاز مذكرة ماستر الموسومة ب:

"الواقع الاقتصادي في منطقة الزيبان خلال الفترة الإستعمارية1844-1962م"

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز المذكرة المذكورة أعلاه.

التاريخ:2025/05/26

توقيع المعني:

جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص.ب 145 ق ر ، 07000 بسكرة.
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، القطب الجامعي ، شتمة .

versité Mohamed Khider, B.P145 RP 07000 Biskra
33.50.12.40

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

REPUBLIC ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAI
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEURE ET DE L
RECHERCHE SCIETIUFIQUE
UNIVERSITE MOHAMED KHIDER – BISKRA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SCOCIALES
DEPARTEMENT SCIENCES HUMAINES

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
السنة الجامعية 2025/2024

بسكرة في 25-05-2025

الاسم واللقب الأستاذ المشرف : حورية ومان
الرتبة : محاضر- أ
المؤسسة الأصلية :جامعة محمد خيضر- بسكرة

الموضوع: إذن بالإيداع

أنا الممضي أسفله الأستاذ (ة) حورية ومان .وبصفتي مشرفا على مذكرة الماستر

للطالب:(ة) **سليمان إسماعيل سالم**

في تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

والموسومة: بـ **الواقع الاقتصادي في منطقة الزيبان خلال الفترة الاستعمارية 1844-1962**

والمسجل بقسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، أقر بأن المذكرة قد استوفت مقتضيات البحث العلمي من حيث الشكل والمضمون، ومن ثمة أعطي الإذن بإيداعها

إمضاء المشرف

مصادقة رئيس القسم

Université Mohamed Khider, B.P145 RP 07000 Biskra
☎ 033.50.1240

جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص.ب 145 ق ر ، 07000 بسكرة.
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، القطب الجامعي ، شتمة .

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

الملخص:

تعالج هذه الرسالة الواقع الاقتصادي في منطقة الزيبان خلال الفترة 1844- 1962، والتي كانت خلالها المنطقة خاضعة للاحتلال الفرنسي، حيث تركز على أهم الأنشطة الاقتصادية التي كات يمارسها سكان المنطقة، وتحاول ربط هذه الأنشطة الاقتصادية بالسياسة الاستعمارية الاقتصادية هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحاول هذه الدراسة رصد أهم الانعكاسات التي عادت على مجتمع الزيبان بفعل الاحتلال الفرنسي الذي مكث في المنطقة طويلا.

الكلمات المفتاحية: *الزيبان، فترة الاحتلال الفرنسي، الواقع الاقتصادي، السياسة الاقتصادية.*

Abstract:

This study explores the economic reality in the Ziban region during the period from 1844 to 1962, when the region was under French occupation. It focuses on the main economic activities practiced by the region's inhabitants and seeks to link these activities to the economic policies of the colonial administration. Additionally, the study aims to identify the key repercussions that affected the Ziban society as a whole and individuals in particular as a result of the prolonged French occupation in the region.

Keywords: *Ziban, French occupation period, economic reality, economic policy.*